أجاثا كريستي

موت في البحر الكاريبي

دار النجمة للنشر والتوزيع

موت في
البحر الكاريبي

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

موت في
البحر الكاريبي

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

الميجور بالغريف يروي قصّة

– لقد قضيت أربعة عشر عاماً في كينيا كانت من أسعد أيام حياتي، وهي بلاد قلّما يسافر الناس إليها رغم كثرة أسفارهم ورحلاتهم.

أومأت إليه الآنسة ماربل برأسها مجاملة، فظنّ أنها استعذبت حديثه فواصل سرد ذكرياته. والواقع أن الآنسة ماربل كانت مستغرقة في هدوء في معايشة أفكارها الخاصة، وهو عمل تلقائي تعوّدت عليه طول عمرها.

كل الرجال عندما يتقدّم بهم العمر يعيشون في ذكريات الماضي حيث الشباب والعافية والمرح وروح الإقدام على المخاطِر، وكم تعاقب على الآنسة ماربل من تلك النماذج! كان معظمهم من رجال الجيش السابقين وإن اختلفوا في درجات حُسن منظرهم، ولكن الميجور بالغريف كان حالة خاصة، فلم تكن به وسامة بل كان دائم احتقان الوجه وإحدى عينيه من الزجاج، وباختصار كان منظره العام يذكّرك بالضفدعة المحنَّطة.

كانت الآنسة ماربل تجلس أمامه متظاهرة بالاهتمام. وفي الواقع فقد كانت تضفي على جميع محدّثيها نفس الدرجة من العطف وتومئ برأسها بين الحين والآخَر مستمتعة بما حولها من الناس والطبيعة، ولا سيما منظر البحر الكاريبي الممتدّ أمامها بأفقه الواسع البعيد وزُرقته الهادئة.

كان ابن أخيها ريموند قد بالغ في إغراقها بمظاهر العطف والحنان، ممّا أثار تساؤلاً في نفسها: لماذا يفعل كل ذلك؟ هل هو الشعور بالواجب أم الرباط العائلي أم الحب؟

لقد كانت فكرته على الدوام أنها تعيش حياة راكدة في قريتها الصغيرة، وكان يقول لها: لماذا تُخفين رأسك في الرمال كما تفعل النعامة الجميلة يا عمّتي؟ لا تعزلي نفسك عن الحياة بسبب القرية الصغيرة التي تعيشين فيها.

كانت هذه الكلمات تُشعرها بأنها من طراز عتيق، ولكنها كانت تصِف ابنَ أخيها بالجهل؛ إذ إن الحياة الريفية ليست بهذا الهدوء الذي يصوّرها به ريموند، فمن خلال حياتها الطويلة في القرية كانت تدرك مقدار التنوع والحيوية في هذه الحياة، وكم شاركت -هي نفسها- في أحداث مثيرة ما كان ريموند ليتخيل وقوعها في القرى التي يظنها هادئة رتيبة!

ثم عادت بأفكارها إلى البحر الكاريبي وحديث الميجور بالغريف الذي ما زال يستطرد فيه منتقلاً من تجربة إلى قصّة في وصف عادات القبائل الأفريقية، ثم عادت إلى تأملاتها الخاصة وتصرّفات ابن أخيها المحب. لقد كان ريموند من الروائيين الناجحين وكانت قصصه تدرّ عليه دخلاً كبيراً، فلم يبخل

بالعمل على راحة وسعادة عمّته. وقد ظهر ذلك عندما أُصيبت بالتهاب رئوي في فصل الشتاء واحتاجت إلى قضاء فترة في مكان مُشمِس، فأرسلها على نفقته إلى إحدى جُزر الهند الغربية، وقد خطّطَ لهذه الرحلة بطريقة تدلّ على كرمه مع عمّته وحرصه على راحتها ذاهبة ومقيمة وعائدة.

في تلك الجُزر وجدت الآنسة ماربل نفسها في جوّ جميل مغاير لتقلّبات جوّ الريف الإنكليزي، وكانت محلّ رعاية مدير فندق النخيل الذهبي الذي نزلت فيه في جُزر سانت أونوريه، وهو السيد تيم كيندال وزوجته الشقراء اللطيفة موللي. وكانت تسير أمام المقصورة الجميلة التي نزلت فيها فتيات الجُزر السمراوات ملبّيات لها طلباتها بابتسامة ساحرة، ولم ينسَ السيد تيم أن يلاطفها كلما ذهبت إلى حجرة الطعام بكلماته الرقيقة ونكاته الظريفة.

أمام المقصورة كان يوجد طريق جميل يؤدّي إلى شاطئ البحر حيث ترى بقيّة النزلاء يسبحون وهي مسترخية في مقعدها المريح، فضلاً عن وجود بعض كبار السن بين النزلاء، الأمر الذي هيّأ لها رفقة جميلة. ومن بين هؤلاء السيد رافيل والدكتور غراهام، والسيد كانون وشقيقته، بالإضافة إلى رفيقها الحالي الميجور بالغريف... ومع كل ذلك لم تكن راضية تمام الرضا.

صحيح أن الجو رائع ودافئ مما خفّف من آلامها الروماتيزمية وأن المناظر جميلة ساحرة قد أدخلت البهجة في نفسها، إلا أنها كانت على شيء من الرتابة، على عكس قريتها سانت ماري ميد التي كانت الأحداث فيها متلاحقة. وعادت بذاكرتها إلى بعض تلك الأحداث، مثل الخطأ الذي وقع فيه

صيدلي القرية عند تركيبه دواء السّعال للسيدة لينيت، ثم ذلك التصرّف الغريب من الشاب بولجيت عندما جاءت لزيارته أم غريغوري، وإن كان يوجد شكّ في أنها أمه، كما تذكّرت سبب الخلاف الحقيقي بين جو آردن وزوجته... إلى غير ذلك من الأحداث التي كانت تسعد الآنسة ماربل بمتابعتها، أما هنا فلا يحدث شيء من هذا.

ولكنها بوغتت حينما ترك الميجور موضوع كينيا وانتقل بذكرياته إلى مغامراته على الحدود الشمالية الغربية وهو برتبة ملازم. وبدأ الميجور يتحدّث في حين كانت الآنسة ماربل مستغرقة في خواطرها الخاصة، ثم قطع عليها حبل أفكارها قائلاً: ألا ترين هذا الرأي؟

ولكنها أنقذت نفسها قائلة: لقد قضيت معظم حياتي في شِبه عزلة، فلا أجد في نفسي خبرة لإبداء الرأي.

فأجابها الميجور بإعجاب قائلاً: طبعاً يا سيدتي العزيزة، طبعاً!

ولكنها حاولت أن تعوّض عدم اهتمامها بحديثه فقالت: أما أنت فكانت حياتك مليئة بالأحداث.

فقال بزهو: لست آسفاً على ذلك.

ثم تلفّتَ حوله بإعجاب وقال: هذا مكان جميل!

- أجل، ولكنني أعجب من أنه لا يحدث هنا شيء قطّ.

فحملق إليها الميجور مدهوشاً وقال: إن الفضائح هنا لا حصر لها، وعندي روايات أستطيع أن أُسمعك إياها.

ورغم أن فضائح تلك الأيام لم تعُدْ تثير الآنسة ماربل فقد ظلّ الميجور يروي لها قصصاً عن جرائم وقعت منذ سنوات أو حوادث عجيبة سمع عنها، ومن بينها قصّة رواها طبيب أسعف زوجةً حاولت شنق نفسها، وبعد أن تم إسعافها عاشت حياة غير طبيعية إذ كانت تنتابها نوبات من الانقباض الشديد، ولم تمضِ عدّة أسابيع حتى تناولت كمية كبيرة من الحبوب المنوّمة فماتَت! وقد ذكر له طبيب آخر قصة مشابهة لها تماماً حتى ظنّ أنها هي، ولكن الطبيب الثاني عندما ذهب ليطمئنّ على مريضته في اليوم التالي بعد أن أسعفها في أول الأمر وجد أمام البيت مجموعة من الأزهار الغريبة التي لم يرَ مثلها من قبل، وكان يحمل معه آلة تصوير فأحب أن يصورها، وفي اللحظة التي كانت آلة التصوير تلتقط المنظر كان الرجل يخرج من باب المنزل فاحتوته الصورة.

ثم قال الميجور: ويبدو أنه لم يلاحظ ذلك، وحتى أنا نفسي لم أنتبه إلى وجود الرجل في الصورة إلا بعد تحميضها فيما بعد، ولكن عينَي زميل الطبيب كانتا قد وقعتا على الصورة فصاح قائلاً: رغم أن الصورة مهتزّة قليلاً إلا أنني واثق... بل أقسم أنه نفس الرجل الذي كان زوج السيدة الأولى! ورغم أن الطبيبَين لم يصلا إلى نتيجة إلا أن الرجل استطاع أن يخفي آثاره بمهارة. أليست قصّة غريبة؟

فعلّقت الآنسة ماربل: من عادة المجرم أنه يواظب على الطريقة التي اتّبعها إذا وجد أنها قد نجحت.

- على كل حال قد سمح لي الطبيب بالاحتفاظ بالصورة على سبيل التذكار.

وبدأ الميجور يخرج الصورة من محفظته المتضخّمة بمحتوياتها قائلاً: والآن هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل طليق؟

وفي اللحظة التي أوشك أن يمدّ يده بالصورة إليها توقّفت حركته فجأة وحملق من فوق كتفها الأيمن، ثم سمعت هي أصوات أقدام تقترب، فأسرع الميجور بإعادة الصورة إلى المحفظة ودسّها في جيبه وهو يقول بصوت أجش: كان بودّي أن أُريك صور أنياب الفيلة، وهي أضخم ما تمكّنت من صيده... آه، مرحباً.

صاح الميجور بتلك العبارة الأخيرة وقد اكتسى صوته برنّة ترحيب زائفة ثم قال: انظري مَن القادم! إنهم الأربعة العظام.

وكان القادمون أربعة أشخاص، رجلين وامرأتين؛ وهم رجل ضخم ذو شعر كثيف اسمه غريغوري وزوجته الشقراء لاكي، ورجل طويل القامة بادي النحول اسمه إدوارد وزوجته إيفيلين التي لوّحت الشمس بشرتها. وكان الأربعة من المهتمين بالنباتات والطيور.

ثم انخرط الجميع في أحاديث متنوّعة وهم يشربون العصائر، ولكن الجديد في الأمر أن الآنسة ماربل شعرت بمدى ما يُظهره الناس من عطف نحوها.

* * *

الفصل الثاني

الآنسة ماربل تعقد مقارنات

في ذلك المساء غطّى المرحُ أجواءَ فندق النخيل الذهبيّ، وانفتحت قاعة الطعام من جهاتها الثلاث على جوّ الجزر اللطيف الدافئ المشبّع بعبير الزهور، كما زُينت موائد القاعة بمصابيح صغيرة ذات ألوان هادئة.

وكان معظم السيدات يرتدين ملابس السهرة وأغلبها من الأقمشة القطنية الخفيفة، وقد جلست الآنسة ماربل إلى مائدتها الصغيرة في أحد أركان القاعة تتأمّل ما يحيط بها باهتمام، ولكنها لم تشاركهم في ارتداء الملابس الخفيفة رغم أن جوان، زوجة ابن أخيها ريموند، قد نقدتها مبلغاً من المال كهدية قبل سفرها قائلة: سوف تجدين الجو هناك أقرب إلى الحرارة يا عمّتي، ولا أعتقد أن عندك شيئاً من الملابس الخفيفة.

ومع ذلك لم تستطع الآنسة ماربل أن تُقنع نفسها بشراء ملابس خفيفة جداً؛ فإن مَن كان في مثل سنّها يفضّل الشعور بلذّة الدفء ولو في أشدّ الأجواء حرارة. وكانت ترتدي أفضل الملابس التقليدية المعروفة لدى كبار سيدات الأقاليم في

إنكلترا، وهو ثوب من الدانتيل رمادي اللون، فلم يكن الجوّ في سانت أونوريه جواً استوائياً بمعنى الكلمة.

ولم تكن الآنسة ماربل السيدة الوحيدة المتقدّمة في السن في قاعة الطعام، فقد كانت القاعة تضمّ جميع الأعمار، كما وُجد عدد من المخضرمين كل منهم برفقة الزوجة الثانية أو الثالثة، والتي كان عمرها في أقلّ من نصف عمر الزوج في بعض الأحيان، كما كان يوجد عدد من الأزواج متوسطي الأعمار من شمال إنكلترا، بالإضافة إلى أُسرة من أمريكا اللاتينية يبدو عليها المرح، وأسرة صينية كبيرة غلب عليها طابع الهدوء، كما كان يوجد رجلان متقدمان في السن أحدهما طبيب كما قيل لها.

كان أغلب القائمين على الخدمة في قاعة الطعام فتيات من أهل البلد يتميّزن بالقوام الممشوق الجميل ويرتدين زيّاً موحّداً ناصع البياض ويشرف عليهن إيطالي تبدو عليه الحنكة وطول المران، وفوق ذلك كانت عينا تيم كيندال الساهرتان تراقبان كل حركة كبيرة أو صغيرة وهو ينتقل من مائدة إلى أخرى يوزّع تحياته ونكاته اللطيفة في حين كانت زوجته السيدة موللي، بجمالها الملحوظ وشعرها الأشقر الذهبي الطبيعي وشفتيها المنفرجتين عن ابتسامة السعادة والطمأنينة وأعصابها الهادئة دائماً، تقوم بنصيبها من الخدمة بمهارة فائقة، فكانت تمزح مع كبار السن من الرجال وتُطري النساء على حُسن مظهرهن ورقّة أذواقهن في اختيار الملابس، وكان جميع عمّال الفندق يخلصون لها ويتفانون في تنفيذ تعليماتها. وكانت العادة أن يُترك أمر العناية بالنزيلات المتقدّمات في السن إلى تيم الذي لا ينفكّ رائحاً وغادياً في خدمة الآنسة ماربل عارضاً عليها ألواناً شتّى من

الطعام لتتخيّر منها ما يروق لها.

ثم بدأت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف، وهي إحدى المعالِم السياحية في الجزيرة، وإن كانت الآنسة ماربل تفضّل لو أنها عزفت في مكان آخَر؛ فأصواتها تكاد تصمّ الآذان رغم أن معظم النزلاء يُبدون إعجابهم بها ويعبّرون عن استحسانهم لها. ثم اضطُرت الآنسة ماربل إلى أن تكيّف نفسها مع الواقع، وهذا هو مبدؤها الذي حافظت عليه منذ شبابها.

ثم أفاقت الآنسة ماربل من تأمّلاتها فلم تجد عنصر الشباب ممثَّلاً فيمن حولها، رغم أن الأضواء وموسيقى الفرقة النحاسية من مستلزمات الشباب، فأين هُم؟! لعلهم يدرسون في الجامعات أو يشغلون وظائف لا تسمح لهم بأكثر من أسبوعين، أما المتعة هنا فهي لمتوسطي العمر وكبار السن الذين يحاولون إرضاء زوجاتهم الشابات. وتنهدت بحسرة آسفة لتلك الأوضاع!

وعلى مائدة قريبة منها جلس كانون بريسكوت وشقيقته، وسرعان ما قبلت دعوتهما إلى احتساء القهوة. ونقلت الآنسة بريسكوت إليها انطباعها عن رحلتهما في ذلك اليوم إلى مدرسة جديدة للبنات وجولتهما في حقل القصب وتناول الشاي في نُزُل يقيم فيه بعض أصدقائهما. كما حصلت الآنسة ماربل منهما على بعض المعلومات عن بعض النزلاء لأنهما أقدم منها مكوثاً في الفندق، ومن بين تلك المعلومات ما يتعلّق بالرجل العجوز المريض السيد رافيل، وهو عجوز فاحش الثراء يمتلك عدداً ضخماً من المتاجر الحديثة في شمال إنكلترا ويأتي إلى ذلك الفندق كل عام مع سكرتيرته الشابة الأرملة إستر والترز، وهي سيدة في غاية اللطف وأمها أرملة تعيش في شيشستر. كما يأتي

معه وصيفه الخاص الذي يقوم بعمل الممرّض فضلاً عن أنه مدلِّك محترف.

بدأت الحركة تزيد في القاعة وبدأ بعض النزلاء يغيّرون مواقعهم بُعداً أو قُرباً من الفرقة الموسيقية، فخفضت الآنسة بريسكوت من صوتها وقالت: أما تلك المجموعة...

فاستحثّتها الآنسة ماربل على أن تذكر لها شيئاً عنها فقالت: الرجل الطويل النحيل هو الكولونيل إدوارد هيلنغدون وزوجته هي صاحبة الشعر الأسود واسمها إيفيلين، وهما اختصاصيّان في علم النبات. أما الآخران فهما السيد غريغوري دايسون وزوجته لاكي، وهما أمريكيان، والزوج يكتب عن الفراشات على ما أعتقد، وكلهم يشتركون في الاهتمام بالطيور ويقضون ثلاثة أشهر كل عام متنقّلين بين هذه الجُزر.

وهنا تعالت الضحكات الصاخبة من المجموعة المخصوصة بالحديث حتى غلب صوتهم رنين الآلات الموسيقية، وفي تلك اللحظة لم يكن منظرهم يدلّ على أنهم يزاولون أي عمل جاد، فقالت الآنسة ماربل: جميل أن يدرس الإنسان أخلاق الآخَرين من تصرّفاتهم. عندما قابلتهم أول مرّة بعد ظهر اليوم لم أكن واثقة أيٌّ من المرأتين زوجة لأي الرجلين.

وبعد فترة صمت سعلت الآنسة بريسكوت بافتعال وقالت: فيما يتعلق بملاحظتك هذه...

ولكن شقيقها قاطعها وقال معاتباً: من الأفضل أن لا نخوض في هذا الموضوع.

- لا أنوي أن أقول شيئاً، كل ما هنالك أننا كنا نظن أن

زوجة دايسون هي زوجة هيلنغدون، إلى أن علمنا من بعض النزلاء أننا كنا مخطئين.

ثم تبادلتا النظرات، وكان ذلك كافياً لحدوث نوع من التفاهم النسائي، حيث رأتا أنه من الأفضل أن يؤجّلا ذلك الحديث إلى فرصة أخرى.

في تلك الليلة شعرت الآنسة ماربل بأنها ليست غريبة في ذلك المكان لأول مرّة، فالذي كان ينقصها هو تحديد أوجه التشابه بين الأشخاص الذين تراهم لأول مرة والأشخاص الذين تعرفهم شخصياً من قبل، وفي تلك اللحظة شعرت بأنها تستطيع أن تعقد بعض المقارنات الطريفة؛ فمثلاً موللي كيندال تشبه تلك الفتاة التي تعمل مفتّشة تذاكر في حافلات قريتها لأنها كانت تُعنى بالركّاب عناية فائقة، أما تيم كيندال فكان يشبه رئيس الخدم في فندق رويال جورج في منشتسر لأنه كان واضح الثقة بنفسه ولكنه كان بادي القلق دائماً، أما غريغوري فلم تكن مقارنته سهلة لأنه كان أمريكياً، وقد يشبه السير جورج ترولوب لأنه كان حاضر النكتة في اجتماعات الدفاع المدني... وهكذا.

* * *

في مقهى الفندق وقفت موللي كيندال وقد بدا التعب عليها، فلحق بها زوجها تيم قائلاً: هل أنت متعبة يا عزيزتي؟

فأجابته قائلة: قليلاً؛ فقد أُجهدت الليلة كثيراً.

فنظر إليها بقلق قائلاً: أنت ترهقين نفسك أكثر من اللازم.

فضحكت موللي ثم أجابته قائلة: لا تكن سخيفاً يا تيم، أنا أحب المكان هنا، إنه رائع. إن الحلم الذي كنت أراه دائماً قد بدأ يتحقّق.

فقال تيم: شيء رائع أن يكون الإنسان نزيلاً هنا، ولكن المشقّة في إدارة العمل نفسه.

فقالت موللي متفلسفة: لا تستطيع أن تحصل على شيء بلا ثمن.

فقطب تيم جبينه وقال: هل تعتقدين أننا نجحنا وأن كل شيء على ما يُرام؟

- بالطبع نجحنا.

- ألا تظنين أن قُدامى النزلاء يقولون: لم يعُد الفندق كما كان في عهد الزوجين ساندرسن؟

- لا بدّ أن يقول بعضهم مثل هذا الكلام، ولا سيما بعض العجائز الذين يُغرمون بالثرثرة. نحن أفضل من آل ساندرسن لأننا أكثر شباباً، وها أنت تتودّد إلى تلك القطط العجائز، أما أنا فلا أزال أتودّد إلى كبار السن من الرجال وألعب معهم دور الابنة الصغيرة. لقد بدأنا بداية طيّبة للغاية.

فزال التقطيب عن وجه تيم وقال: إذا كان هذا هو شعورك فأنا أشعر بالخوف. لقد خاطرنا بكل ما نملك في سبيل نجاح هذا المشروع، فاستقلت أنا من وظيفتي و...

فقاطعته موللي قائلة: خيراً فعلت؛ لقد كانت وظيفة مثبّطة للهمم.

ضحك تيم، فاستطردت قائلة: كما قلت لك، لقد بدأنا بداية طيبة فلماذا القلق؟

- هذه طبيعتي؛ دائماً يجول في خاطري أن شيئاً ما قد يحدث.

- وماذا يمكن أن يكون ذلك الشيء؟

- لا أدري! قد يغرق أحد النزلاء مثلاً.

- لا أظن أن هذا سيحدث؛ فشاطئنا من أكثر الشواطئ أمناً وهذا الحارس السويدي البليد لا يتوقف عن مراقبة السابحين.

- أنت تجعلينني أشعر بالغباء.

ثم قال بعد تردّد: ألم تعاودك تلك الأحلام مرّة ثانية؟

فضحكت موللي وقالت: لقد كانت مجرّد تخيّلات!

* * *

الفصل الثالث

حادث وفاة في الفندق

فرغت الآنسة ماربل من تناول إفطارها في حجرتها كعادتها كما فرغت من اتخاذ قرارها في برنامجها اليومي، وبينما هي في طريقها إلى الفندق قابلت موللي، فلاحظت على تلك الشابة المشرقة الوجه أنها واجمة وليست مبتسمة كعادتها فسألتها قائلة: هل حدث شيء يا عزيزتي؟

فأومأت موللي برأسها وتردّدت لحظة ثم قالت: ستعرفين إن عاجلاً أو آجلاً، الجميع سيعرفون... لقد مات الميجور بالغريف.

فصاحت الآنسة ماربل قائلة باستنكار: أتقولين إنه مات؟!

- نعم؛ لقد مات ليلاً.

- يا إلهي! كم أنا آسفة!

- شيء فظيع أن تحدث وفاة هنا! وبالرغم من أن الميجور كان متقدماً في السن إلا أنه أمر يجلب الحزن والغمّ للجميع.

لم تسترِح الآنسة ماربل إلى هذه العبارة الأخيرة؛ فهي لا تؤمن بأن كلَ مَن تقدّم بالسن يصبح عُرضة للموت المباغت، فقالت: لقد كان يبدو مرحاً وفي أتمّ صحة بالأمس!

- لقد كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم.

- لكن علاج ارتفاع ضغط الدم لم يَعُد مستعصياً على الطب.

- معك حق، ولكن ربما نسي تناول العلاج أو تناول منه أكثر ممّا يجب كما يحدث مع الأنسولين مثلاً.

ولكن الآنسة ماربل لم تجِد وجهاً للمقارنة بين ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر فقالت: وماذا قال الطبيب؟

- لقد استدعينا الدكتور غراهام، وهو من نزلاء الفندق، كما جاء الطبيب المحليّ، وكان كل شيء يبدو طبيعياً. وهذا طبيعي لمريض ضغط الدم إذا أسرف في التدخين، والميجور كان بعيد الاعتدال عن هذه الناحية كما رأيت البارحة.

- أجل، لقد لاحظت ذلك.

- هذا الحادث يسبّب لي أنا وتيم قلقاً بالغاً؛ فقد يظن البعض أن للطعام الذي نقدّمه للنزلاء دخلاً فيما حدث.

- لكن أعراض التسمّم من الأكل تختلف تماماً عن أعراض ارتفاع ضغط الدم يا موللي.

- هذا صحيح، ولكن الناس يتكلّمون، وإذا سرى هذا الوهم بينهم فسوف يغادرون الفندق ثم يخبرون أصدقاءهم.

فقالت الآنسة ماربل مواسِية: لا أعتقد أنه يوجد ما يستحقّ أن يشغل بالك؛ فالجميع سيعتبرون الحادث أمراً عادياً وإن كان يدعو إلى الأسف.

- لو أن الحادث لم يكن بهذه المفاجأة!

كان هذا هو رأي الآنسة ماربل أيضاً. وعندما كانت في طريقها إلى الشاطئ استعادت صورة بالغريف في الليلة الماضية وهو يضحك ويثرثر بمرح زائد مع الزوجين هيلنغدون ودايسون، وعندما خطرت هذه الأسماء ببالها تباطأت في سيرها، ثم توقّفت فجأة.

قرّرت عدم الذهاب إلى الشاطئ، ثم اختارت ركناً ظليلاً في شرفه الفندق وشغلت نفسها بخيوط غزلها. كانت غير راضية عن طبيعة الأحداث؛ فقد حدث كل شيء بسرعة غير طبيعية، ثم تخيّلت الميجور وهو يتحدّث عن كينيا والهند والحدود الشمالية الغربية، ثم تطرّق إلى حوادث القتل فتحدّث عن قضية شهيرة حدثت في الجزيرة وتحدّثت عنها الصحف.

عندئذٍ أغمضت الآنسة ماربل عينيها وأخذت تحاول أن تتذكّر كيف تسلسلت القصة. لقد كانت قصّة مضطربة رواها له طبيب وهما في أحد الأندية، كما أن الطبيب كان قد سمعها من طبيب آخَر، وقام أحدهما بالتقاط صورة لشخص ما وهو خارج من الباب الأمامي لمنزله، وذلك الشخص كان قاتلاً... أجل، تلك هي القصّة. لقد بدأت تفصيلاتها تعود إلى ذاكرة الآنسة ماربل.

* * *

الفصل الرابع

الآنسة ماربل تتمارض

عندما مرضت الآنسة ماربل (أو تمارضت) بادر الدكتور غراهام بزيارتها في غرفتها. وهو رجل لطيف في الخامسة والستين من عمره زاول مهنة الطب لسنوات طويلة في جُزر الهند الغربية، ثم تقاعد تاركاً معظم مرضاه لزميل له من أهالي الجزر.

حيّاها برقّة وسألها عمّا تشكو منه، ومَن كان في مثل سنّ الآنسة ماربل يكون عنده أسباب كثيرة للشكوى، أضف إلى ذلك بعض المبالغات من المريض. وتردّدت الآنسة ماربل في شكواها بين كتفها وركبتها، ثم فضّلت الركبة.

فأبدى الدكتور غراهام لطفاً زائداً معها، وإن أحجم عن إخبارها بأن مَن كان في مثل سنّها يكون عرضة لمثل هذه الاضطرابات دائماً، كما أكسبته خبرته أن كثيراً من كبار السن يشعرون بالوحدة عند قدومهم إلى تلك الجزر فقرّر البقاء معها بعض الوقت حتى يخفّف عنها بعض الشيء، الأمر الذي أشعرها بالخجل لأنها كذبت على الطبيب حيث إنه لم يكن أمامها وسيلة أخرى.

كانت الآنسة ماربل امرأة صادقة نشأت على حب الحق، ولكن عندما تضطرّها الظروف إلى تصنّع الكذب كانت مهارتها في التظاهر تجعل من الصعب التفرقة بين الأكاذيب والحقيقة. سعلت الآنسة ماربل بافتعال واعتذرت للطبيب عن ذلك، ثم قالت بصوت أكسبته رقّة وأنوثة: يوجد شيء أودّ أن أسألك عنه يا دكتور، وهو يتعلّق بالميجور بالغريف. أليس من المحزن أن يموت هكذا فجأة؟ لقد كان موته صدمة شديدة لي.

- أجل، كانت وفاته مفاجأة؛ فقد كان يبدو في أحسن حالاته ليلة أمس.

كان الدكتور غراهام يتكلّم برقة وتحفّظ، ويبدو أن وفاة الميجور بالغريف بالنسبة إليه لم تكن حادثاً خارجاً عن المألوف ممّا أدخل الشكّ إلى نفسها وجعلها تشعر بأنها ربما بالغت في تصوّراتها، ولأنه لم يعُد أمامها سبيل إلى التراجع بعد أن أظهرت شكوكها فقد قالت: لقد كنت أتبادل معه أطراف الحديث بعد ظُهر أمس وكان يروي لي بعض ما صادفه في حياته من طرائف ومغامرات.

فأجابها الدكتور (وهو الذي استمع إلى الكثير من تلك الذكريات المملّة) قائلاً: فعلاً.

فواصلت حديثها قائلة: ثم أخذ يتحدّث عن أُسرته وطفولته، كما حدّثته عن أبناء وبنات إخوتي أيضاً، ثم أطلعته على صورة كانت معي لأحد أبناء إخوتي وهو صبي في غاية الظرف... وإن لم يعُد صبياً الآن، ولكنه بالنسبة إليّ سيظل ذلك الصبي الظريف. وقد ناولته تلك الصورة، وفي أثناء تأمّلها داهمنا

ذلك الرباعي الظريف، أقصد أولئك الهواة بجمع الزهور الغريبة والفراشات.

- أجل، الزوجان هيلنغدون والزوجان دايسون.

- تماماً، وقد انضموا إلينا وهم يضحكون ويتصايحون، ثم طلبوا عصيراً. وأخذنا جميعاً نتجاذب أطراف الحديث، وفي أثناء ذلك أخرج الميجور محفظته ودون وعي منه وضع فيها الصورة وأعادها إلى جيبه، ولم أذكر موضوع الصورة إلا بعد أن افترقنا. ثم تذكّرتها ليلة أمس حينما كانت الموسيقى تعزف، وكان الميجور في حالة مرح وانشراح فلم أشأ إزعاجه وأرجأت الأمر إلى الصباح.

- لقد فهمت ما ترمين إليه، أنت تريدين استعادة الصورة، أليس كذلك؟

- بلى، فهي الصورة الوحيدة عندي ولا أستطيع أن أتخيّل فقدها. إن دينزل كان أحب أبناء إخوتي إليّ، والصورة هي الأثر الوحيد الذي يذكّرني به. وهذا ما جعلني ألجأ إليك؛ فربما اتّهمني غيرك بالسخافة وتهكّم عليّ. لا أظن أن أحداً غيرك يستطيع مساعدتي.

- بالطبع، أنا أقدّر موقفك وسأُقابل المسؤولين من رجال الأمن، ولكن صِفي لي تلك الصورة.

- كان المنظر يمثّل واجهة منزل وأحواض الزهور التي أمامه، ويشتمل على منظر لشخص، أقصد دينزل، خارجاً من الباب الأمامي للمنزل. وكان أحد أبناء إخوتي الآخرين هو الذي التقط تلك الصورة لأنه من هواة الزهور، وكان هدفه تصوير

بعض فصائل الزهور النادرة التي كانت تنمو أمام المنزل، وعندما فتح دينزل الباب وهمّ بالخروج شملته الصورة. ورغم أن الصورة مهزوزة إلا أنها جميلة وأعتزّ بها جداً.

فنهض الدكتور قائلاً: لن أجد صعوبة في استعادة الصورة وإحضارها إليك.

فقالت: هذا كرم زائد منك. أنت في غاية اللطف، لا شكّ في أنك تقدّر موقفي.

- طبعاً.

ثم مدّ يده محيّياً واستطرد قائلاً: أما بخصوص ركبتك فلا يقلقك أمرها، وعليك بتمرينها يومياً برفق. أما الأقراص فسأُرسلها إليك فوراً على أن تتناولي منها قرصاً ثلاث مرات يومياً.

* * *

الفصل الخامس

الآنسة ماربل تتّخذ قراراً

عادت الحياة في الجزيرة إلى طبيعتها اليومية بمجرّد الانتهاء من مراسم تشييع جثمان الميجور في اليوم التالي، وقد حضرتها الآنسة ماربل برفقة الآنسة بريسكوت. وجلست الآنسة ماربل بعد الظهر في ركنها المعتاد مع غزلها، ثم أقبل الدكتور غراهام وجلس بجوارها فتركت خيوطها، وبدأ الدكتور حديثه فوراً بلهجة اعتذار لعدم عثوره على صورتها الثمينة، ثم قال: وأرجو أن لا يكون ذلك مبعث ضيق لك.

- هذا أمر غريب! ولا يسعني إلا أن أشكرك يا دكتور، وأنا آسفة لما سبّبته لك من إزعاج.

خُيّل إلى الدكتور غراهام أن الآنسة العجوز تلقّت الصدمة بشجاعة فائقة، كما خُيل إليه أن الميجور حينما كان يعبث بمحتويات محفظته نسي الطريقة التي وصلت بها الصورة إلى محفظته فمزّقها كشيء عديم الأهمية مع أن لها أهمية عظيمة عند الآنسة ماربل.

ورغم أنها قد تظاهرت بمواجهتها للموقف بانشراح وتقبّل

-كما كان انطباع الدكتور غراهام عنها- إلا أنها كانت أبعدَ ما تكون عن ذلك، ولكنها كانت في حاجة إلى بعض الوقت كي تُعيد ترتيب أفكارها مصمّمة على استغلال الدكتور غراهام إلى أبعد حد؛ ولذلك واصلت معه حبل الحديث بحماسة ظاهرة في حين كان غراهام يظن أن مرجع ذلك إلى شعورها بالوحدة ومحاولة التغلّب على صدمة فَقْد الصورة العزيزة لديها، ولذلك شاركها الحديث عن الحياة في سانت أونوريه والأماكن العديدة التي ترغب في زيارتها.

ثم عاد الحديث مرّة أخرى إلى الميجور فقالت: شيء محزن أن يموت الإنسان بعيداً عن أهله ووطنه. وإن كان الميجور ليس له أهل قريبو الصلة به كما أخبرني، ويبدو أنه كان يعيش في لندن بمفرده.

- كان كثير الترحال وخصوصاً في الشتاء؛ فلم يكن يحب جو إنكلترا، وأنا لا ألومه على ذلك.

- ربما كانت لديه أسباب صحيّة تضطره إلى قضاء الشتاء خارج إنكلترا كأمراض الرئة مثلاً.

- لا أظنه كان يشكو من رئتيه.

- لكنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم.

- هل حدّثك بنفسه عن هذا الشأن؟

- لا، لقد سمعت به من الآخرين.

- حقاً؟

- أعتقد أن الوفاة تكون متوقّعة في مثل هذه الحالة، أليس كذلك؟

- ليس بالضرورة لأنه يوجد وسائل عديدة للتحكّم في ارتفاع ضغط الدم الآن.

- لقد كانت وفاته فجائية، وأظنك لم تُدهش لها.

- لم أُدهش كثيراً لرجل في مثل سنّه، وإن كنت لم أتوقّعها لأنه كان يبدو أنه في أحسن حال دائماً، وإن كنت لم أفحصه طبياً.

وهنا سألته الآنسة ماربل ببراءة ظاهرة قائلة: هل يستطيع الطبيب أن يعرف الشخص المريض بارتفاع في ضغط الدم بمجرّد النظر إليه؟

- لا، لا بدّ من إجراء بعض الفحوص.

- نعم، تقصد الحزام الذي تلفّونه حول الذراع وتنفخون فيه؟ كم أمقته! لقد أكّد لي طبيبي الخاص أن ضغط دمي معتدل جداً بالنسبة لسنّي.

- يسرّني أن أسمع منك ذلك.

- ولكن الميجور بالغريف كان شديد الولع بالتدخين!

- أجل، وجدير بمن يشكو ارتفاع ضغط الدم أن لا يفعل ذلك.

- ألا يتعاطى المريض أقراصاً معيّنة لذلك؟

- بلى، توجد أنواع عديدة من هذه الأقراص، وكانت

توجد زجاجة منها في حجرة الميجور.

– لقد بلغ التقدّم العلمي درجة كبيرة حتى أصبح الطب يأتي بالمعجزات! ومع ذلك يوجد منافس واحد للطب هو الطبيعة، فكثيراً ما تنجح بعض الطرُق المنزلية من وقت لآخَر، كوضع نسيج العنكبوت على الجرح... لقد كانوا يفعلون ذلك عندما كنت طفلة.

– هذه طريقة معقولة!

– وكذلك لبخة بذر الكتان على الصدر، والتدليك بزيت الكافور في حالات السعال.

– يبدو أنك تعرفين الكثير من وسائل العلاج الطبيعي. بالمناسبة، كيف حال ركبتك؟

– إنها أحسن حالاً الآن.

– هذا جميل، وإن كنت لا أدري هل يرجع هذا التحسّن إلى الأقراص أم إلى الطبيعة! أُكرر أسفي لأنني لم أستطع مساعدتك بشأن الصورة.

– يكفيني ما أظهرتَ من كرم ولطف بالغَين، وإن كنت أشعر بالخجل لما أخذت من وقتك. هل قلت إنه لم تكن توجد صورة في محفظة الميجور؟

– بل كانت توجد عدّة صور، ولكن لم توجد صورة كالتي وصفتِها لي.

– أنا لا أشكّ في قولك أو سعيك للبحث عنها، ولكنك

تعلم اهتمامنا بمثل هذه الأشياء الصغيرة.

فأمّن الدكتور على كلامها وهو يبتسم ثم قال: إنها كنوز الماضي.

ثم حيّاها وانصرف. وبقيت الآنسة ماربل تتأمّل ما حولها من نخيل وبحر هادئ وتسأل نفسها: أين ذهبت الصورة التي كان الميجور قد أخرجها من محفظته ثم أعادها إليها بسرعة؟ لا يُعقل أن يكون الميجور قد مزّقها أو ألقى بها جانباً، وهي لو كانت نقوداً لقلنا إنها سُرِقت، ولكن مَن يسرق صورة إلا إذا كان لديه سبب يدعوه إلىَ ذلك؟

تصارعت المشاعر في نفس الآنسة ماربل، وكان عليها أن تتّخذ قراراً: هل تترك الميجور هادئاً في قبره أم تثير المتاعب حوله؟ أليس من الأفضل أن تترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي؟ هل رحيله عن العالَم في تلك الليلة مصادفة أم بفعل فاعل؟ إن الزجاجة التي وجدوها في حجرته لعلاج لضغط الدم ربما وضعها مَن سرق الصورة، ولا سيما أنها لم ترَه يتناول علاجاً ولا حدّثها عن إصابته بهذا المرض. كل ما كان يقول عن صحته هو: "لم أعُد شاباً كما كنت"... كما لاحظت ضيقاً في تنفسه أحياناً، ولكن قد يكون نتيجة ربو خفيف. مَن قال إنه مريض بالضغط؟ موللي أم الآنسة بريسكوت؟ إنها لا تتذكّر. ثم سألت نفسها: هل خلقت لنفسي أوهاماً وبنيت عليها كل هذه الوساوس؟

ومرّة ثانية أخذت تستعيد تفصيلات الحديث الذي دار بينها وبين الميجور حول القتَلة وحوادث القتل كلمة كلمة، ثم قالت

لنفسها: يا إلهي! أنا لا أعرف كيف أتصرّف!

ولكنها قرّرت أن تحاول التصرّف.

* * *

الفصل السادس

في الساعات الأولى من الصباح

استيقظت الآنسة ماربل مبكرة لأن نومها خفيف متقطّع كعادة كثير من كبار السن، تتخلّله فترات يقظة تقضيها في التخطيط لبعض الأعمال التي تنوي القيام بها في اليوم التالي أو في الأيام التالية. ولكنها في ذلك الصباح كانت تفكّر بعمق في جريمة قتل، وماذا تفعل لو صدقت شكوكها.

إن الأمر ليس سهلاً؛ إذ ليس لديها سوى سلاح واحد هو التحدث مع الآخرين؛ فالثرثرة من عادة العجائز، وإذا تضايق منها البعض فلن يشكّ في أن وراءها غرضاً خاصاً. ورغم أنها لا تعرف ما هي الأسئلة التي ينبغي أن تسألها إلا أنها أدركت أن معرفة المزيد عن بعض الشخصيات هي مفتاحها كي تصل إلى غرضها، لذا فقد أخذت تستعرضهم في مخيّلتها.

يجب أن تعرف المزيد عن الميجور، وإن كانت تشكّ في أن هذه المعرفة ستفيدها، فإن كان قد قُتل فليس الدافع إلى قتله أسرار خاصة في حياته أو ثروة تثير طمع وارثيها أو الانتقام منه... إن زيادة المعرفة بأحوال القتيل لا تساعد على الاستدلال على

القاتل. إن أوضح شيء في هذا الوضع هو أن الميجور كان يتكلّم أكثر ممّا يجب، كما علمت الآنسة ماربل من الدكتور غراهام أن الميجور كان يحتفظ في محفظته ببعض الصور، إحداها وهو على صهوة جواد، والثانية مع فهد ميّت، وبعض صور أخرى من هذا النوع. هو يحتفظ بتلك الصور لأنه يختزن في ذاكرته قصصاً عنها، فمثلاً إذا ما روى قصّة الفهد الشرس الذي تمكّن من اصطياده في أثناء خدمته في الهند أخرج صورته مع الفهد ليريها لمستمعيه، وكذلك قصّته عن القاتل ستحتاج إلى إبراز صورته في الوقت المناسب ليعزّز بها روايته.

وقد استخدم نفس أسلوب العرض معها في قصّته عن القتل، فأخرج الصورة وهو ينوي أن يعرضها ويعلّق عليها... هذه طريقة عادية لديه ولا بدّ أنه قد روى تلك القصّة لشخص أو أكثر، وتمنّت لو أنها استطاعت أن تقف من ذلك الشخص على تفصيلات القصّة وأوصاف الشخص الذي كان في الصورة. وهنا قالت بارتياح: سوف أبدأ من هنا؛ سوف أبدأ من الكولونيل هيلنغدون والسيد دايسون، وكلاهما لا تبدو عليه علامات الإجرام. ومع ذلك فإن القاتل لا يبدو عليه أنه مجرم عادة، فهل يُحتمَل أن يكون القاتل أحدهما؟

إنها لم تشاهد أحداً خلفها عندما التفتت وراءها سوى مقصورة السيد رافيل، فهل خرج شخص منها ثم دخلها مرّة ثانية قبل أن تتمكّن من الالتفات خلفها؟ ثم مَن ذلك الشخص الذي لمحه الميجور خلفها فاستحالت صورته إلى ما يشبه الضفدعة المحنّطة؟! قد يكون ذلك الشخص جاكسون وصيف السيد رافيل. هل يمكن أن يكون جاكسون هو الذي ظهر

في الصورة خارجاً من المنزل في اللحظة التي التُقطت فيها الصورة؟ وصمّمت الآنسة ماربل على الحصول على مزيد من المعلومات عن كل من الزوجين هيلنغدون والزوجين دايسون والوصيف آرثر جاكسون.

* * *

كان من الذين استيقظوا مبكراً في ذلك الصباح الدكتور غراهام، وكان يشعر بقلق لم يستطع أن يجد له تعليلاً. قد يكون موت الميجور هو السبب في أرقه وقلقه، وقد يكون السبب ثرثرة تلك العجوز وأسفه لعجزه عن إحضار الصورة... ولكنها تستحق الإعجاب لتقبّلها الصدمة بصدر رحب، مع أنها أثارت شكوكها حول ظروف الوفاة.

إن وفاة الميجور كانت طبيعية، أو على الأقل هذا هو ما يعتقده، فلِمَ القلق إذن؟ ثم قال لنفسه: ولكنني لا أعرف شيئاً عن حالة الميجور الصحيّة. كلهم يقولون إنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم، ولكنني لم أتحدّث معه في هذا الشأن، كما أنني كنت قليل الحديث معه لأنه كان رجلاً ثقيل الظل، فلماذا هذا الشعور الخفيّ بأنه يوجد شيء غير طبيعي في وفاته؟! هل هو حديث تلك المرأة العجوز؟ ولكنها لم تقُل شيئاً، فلماذا أشغل نفسي بهذا الموضوع في حين أنه لا صلة لي به؟ إن السلطات المحلية وطبيب الشرطة مقتنعون بأنه قد مات ميتة طبيعية.

عندئذٍ هدأت نفسه وعاد إلى النوم.

* * *

فيكتوريا جونسون إحدى فتيات سانت أونوريه اللاتي يعملن في الفندق، وهي تقيم في أحد الأكواخ على حافة أحد الخلجان الصغيرة وراء منطقة الفندق. وقد أيقظت زوجها قائلة: استيقظ يا رجل.

فأجابها بصوت يغالبه النعاس قائلاً: ماذا تريدين؟

- انهض، أريد أن أتحدّث إليك.

- ماذا يقلقك يا فيكتوريا؟

- يوجد شيء غير طبيعي لا يعجبني في وفاة الميجور الذي مات الليلة الماضية.

- وما الذي يقلقك؟ لقد كان كهلاً ومات.

- الموضوع يتعلّق بالأقراص التي سألني عنها الطبيب.

- هل تناول منها أكثر ممّا يجب؟

- لا، ليس هذا هو لبّ الموضوع.

- أنا لا أجد شيئاً غريباً في الأمر.

- سأتحدث مع السيدة كيندال في الصباح، أعتقد أنه يوجد خطأ ما.

فقال لها زوجها بنبرة آمرة: انسي هذا الموضوع ولا تجلبي لنا المتاعب.

ثم تثاءب وراح في سبات عميق.

* * *

الفصل السابع

فترة الصباح على الشاطئ

كان من عادة النزلاء أن يتجمّعوا كل يوم في الضحى على الشاطئ المواجه للفندق، وكان ذلك التجمّع اليومي بمثابة اجتماع عام. وكان من بين هؤلاء السيدة دي كاسبيرو، وهي إحدى سيدات فنزويلا الجميلات، وكانت تجلس في أحد المقاعد المستوردة خصيصاً للشاطئ، وإلى جوارها جلس السيد رافيل العجوز الذي صار بمثابة عمدة فندق النخيل الذهبي ويحتل مكانة لا يحتلّها إلا رجل واسع الثراء مثله، وكانت إستر والترز إلى جواره تسهر على راحته ومعها دفتر وقلم لتكتب البرقيّات التي قد يطرأ على ذهن السيد رافيل أن يمليها عليها.

وكان ذلك الرجل يبدو في ملابس البحر وكأنه هيكل عظمي اكتسى بطبقة متهدّلة من الجلد الجاف المليء بالتجاعيد، ومَن رآه ظنه موشكاً على الموت رغم ثباته على تلك الهيئة منذ ثماني سنوات. وكانت عيناه الزرقاوان الحادتان أبرز ما فيه، وكانت أقصى مُتعه معارضته لكل ما يقوله الآخرون.

وكانت الآنسة ماربل تجلس على الشاطئ منهمكة في غزلها

مصغية إلى كل ما يُقال حولها مشارِكة في الحديث من وقت لآخَر، الأمر الذي أثار دهشة مَن حولها لأنهم كانوا ينسون وجودها بينهم. وقد نظرت إليها إيفيلين هيلنغدون بتودّد وعطف وقد رأت فيها امرأة عجوزاً لطيفة، أما السيدة دي كاسبيرو فقد راحت تترنّم بلحن أسباني جميل، وهي من الطراز النادر من النساء اللاتي لا يُكثرن من الكلام. أما إستر والترز فقد قالت تخاطب مخدومها: ألا تنوي أخذ حمّامك الآن يا سيد رافيل؟

فأجابها العجوز قائلاً: سآخذه عندما أكون مستعداً.

- ولكن الساعة الآن قد تجاوزت الحادية عشرة.

- وماذا في ذلك؟ هل تظنينني من أولئك الرجال الذين يتقيّدون بحركة الساعة؟ سأفعل هذا الآن أو أفعله بعد عشرين دقيقة أو...

وكانت السيدة والترز تعرف كيف تتصرّف معه نتيجة خدمتها الطويلة معه، وكانت تعرف أنه يحتاج إلى فترة طويلة من الوقت بعد الحمّام ليستعيد قواه، ولذلك ذكّرته قبل الموعد بعشر دقائق كي يعارضها ثم يعود إلى أخذ الحمّام دون أن يبدو عليه أنه خضع لها.

وأخذت الآنسة ماربل تتحدّث مع السيدة هيلنغدون بطريقة صبيانية مثرثرة فقالت: كم أنا دهِشة من وجودي هنا! هذه أول مرّة أشاهد فيها جزر الهند الغربيةِ. أعتقد بأنك تعرفين هذه الجزر جيداً يا سيدة هيلنغدون، أليس كذلك؟

- بلى، لقد حضرت إلى هنا مرّة أو مرّتين قبل ذلك، وبالطبع زرت باقي الجزر.

- للبحث عن الفراشات والزهور البرية مع أصدقائك، أم هم أقرباؤك؟

- لا، هم مجرّد أصدقاء لا أكثر.

- ما دامت هوايتكم واحدة فتنقّلاتكم معاً، أليس كذلك؟

- بلى، نحن نسافر معاً منذ عدّة سنوات.

- لا شكّ في أنكم واجهتم بعض المغامرات المثيرة؟

فأجابت السيدة هيلنغدون بملل قائلة: لا أظن، يبدو أن المغامرات لا تحدث إلا للآخرين!

- لقد أخبرني الميجور بأن أفعى لدغته في إحدى رحلاته.

- حقاً؟!

- ألم يحدّثك بذلك؟

- ربما حدّثني، ولكنني لا أتذكّر.

- أعتقد أنك كنت تعرفينه جيداً؟

- لا، لم أكن أعرفه.

- كان لا يفتأ يروي القصص المثيرة.

وهنا تدخّل السيد رافيل في الحديث قائلاً: لقد كان شخصاً سخيفاً يبعث على الملل، ولو أنه اهتمّ بأمر صحته كما يجب لَمَا كان قد مات!

حاولت السيدة والترز أن تذكّره بموعد حمّامه مرّة ثانية، فلم يعِرها التفاتاً وواصل حديثه قائلاً: أنا أعني ما أقول؛ لو أن كل إنسان اعتنى بصحّته لما واجهته أي متاعب في أي مكان. لقد يئس الأطباء منّي منذ عدة سنوات، ولكنني تحدّيتهم ووضعت لنفسي قواعد صحّية خاصة سأظلّ محافظاً عليها، وها أنا كما ترونني.

شاركت السيدة والترز في الحديث قائلة: لقد كان الميجور يشكو من ارتفاع ضغط الدم.

فقال السيد رافيل: هذا هراء.

ولكن إيفيلين هيلنغدون قالت بلهجة الواثق: بل هذا حقيقي.

فقال السيد رافيل: هل أخبرك بذلك؟

- لا، ولكن البعض يؤكّد ذلك.

فقالت الآنسة ماربل محاولة وصل الحديث: إن وجهه كان دائم الاحتقان.

ولكن السيد رافيل اعترض قائلاً: احتقان الوجه لا يعني ارتفاع ضغط الدم بالضرورة، والحقيقة أنه لم يكن يشكو من ارتفاع ضغط دمه، وهو الذي قال لي ذلك.

فسألته السيدة والترز قائلة: ماذا تعني بقولك إنه قال لك ذلك؟ الإنسان لا يستطيع أن يقول عن نفسه ذلك!

- بل يستطيع. لقد نصحته ذات مرّة -وهو يفرط في الطعام

والتدخين- بأن يحذر هذا الإفراط وأن يحذر ارتفاع ضغط الدم، ولا سيما مَن كان في سنّه، فقال لي إن ضغطه عادي بالنسبة لسنّه.

فتساءلت الآنسة ماربل قائلة: ولكنه كان يتناول دواءً لضغط الدم؟

فقالت إيفيلين هيلنغدون: لم يكن يحب أن يعترف بأنه مريض لأنه كان يخشى المرض.

فنظرت إليها الآنسة ماربل متأمّلة في حين قال السيد رافيل بصوت متسلّط: يعتقد البعض أن مَن تعدّى الخمسين لا بدّ أن تكون وفاته بسبب ارتفاع ضغط دمه أو انسداد الشريان التاجي أو ما شابه ذلك، لكن إذا قال شخصٌ إنه لا يشكو مرضاً فلا بدّ أن يكون قوله صحيحاً، فمن المفروض أن يدرك كل إنسان حقيقة حالته الصحية.

وصمت بُرهة ثم استطرد متسائلاً: كم الساعة الآن؟ إنها الثانية عشرة إلا الربع. كان يجب أن آخذ حمّامي منذ أكثر من نصف ساعة! لماذا لم تذكّريني بالموعد يا إستر؟

فلم تجِب إستر على هذا التعليق، بل نهضت وساعدته بمهارة على الوقوف، ثم اتّجها إلى حافة الماء وهي تسنده بعناية حتى نزلا الماء معاً، فغمغمت السيدة دي كاسبيرو قائلة: ما أقبح منظر الرجال العجائز! أرى أنه يجب إعدام كل مَن تجاوز الأربعين، وربما الأفضل بعد سنّ الخامسة والثلاثين، أليس كذلك؟

وقبل أن يعلّق أحدٌ على كلامها حضر كل من إدوارد

هيلنغدون وغريغوري دايسون، فأخذ هيلنغدون زوجته إيفيلين واتجها نحو الماء وقد تشابكت أيديهما، فغمغمت دي كاسبيرو مرّة أخرى قائلة: كنت أظن أن هذين الزوجين هيلنغدون يقضيان شهر العسل. إن الرجل يُبدي تلطفاً زائداً نحوها. لكن قيل لي إنهما متزوّجان منذ أكثر من ثماني سنوات، أليس هذا بعيداً عن التصديق؟

ومرّة أخرى لم يجبها أحد في حين قالت الآنسة ماربل: أين ذهبت السيدة دايسون؟

- أتقصدين لاكي؟ لا أدري.

* * *

أغلقت فيكتوريا جونسون باب حجرة مكتب موللي خلفها ثم اقتربت منها وقالت: هل أستطيع أن أتحدّث إليك يا سيدة كيندال؟

- بالطبع يا فيكتوريا.

فاقتربت فيكتوريا من مكتب موللي بقامتها الفارعة وزيّها الأبيض الناصع بحركة بطيئة متوجّسة ثم قالت هامسة: أريد أن أخبرك بشيء.

- حسناً، ما هو؟

الأمر يتعلّق بالرجل العجوز الذي مات في الفندق، السيد الميجور. لقد تُوفّي في أثناء نومه.

- أجل، وماذا في ذلك؟

- كما عثروا على زجاجة أقراص في حجرته، وقد سألني الطبيب عنها.

- حسناً.

- وعندما دخل الطبيب حجرته وجد بعض العقاقير، ومن بينها الأقراص المسماة سيرينايت.

- حسناً.

- فهزّ الطبيب رأسه وبدا عليه أنه اقتنع بشيء ما، ولكنني تذكّرت أن تلك الزجاجة لم تكن موجودة في حجرته قبل وفاته.

فبدت الحيرة على وجه موللي وقالت: إذن أنت تظنين...

- لا أدري يا سيدتي. كل ما أعرفه أن الوضع غير طبيعي، لذلك أخبرتك، وقد ترين إخبار الطبيب بذلك فربما وضعها شخص ما ليأخذ منها الميجور فيموت.

- آه! لا أظن أن هذا محتمَل الحدوث.

فهزّت فيكتوريا رأسها وقالت: مَن يدري؟ يوجد كثير من الناس يفعلون الشرّ.

أدارت موللي نظرها إلى خارج النافذة، وبدا لها المكان وكأنه قطعة من الجنة بشمسه المشرقة وبحره الهادئ الجميل وشُعَبه المرجانية... ومع ذلك لم تسلم تلك الجنة من الشرّ، من شبح الأفعى وهي تنفث سمومها. ألا ما أبغض وقع تلك الكلمات على السمع!

ثم قالت: سوف أقوم بتحرّيات، فلا تقلقي واكتمي الأمر.

ورأى تيم فيكتوريا منصرفة من مكتب موللي، فدار حوار بينه وبين زوجته حول حضورها إلى مكتبها. وقد وصفت موللي قول فيكتوريا بأنه سفسطة لا معنى لها؛ فالدكتور روبرتسون ذكر أنه يوجد دواء يتعلّق بضغط الدم ومن الطبيعي أن يتناوله الميجور ما دام مريضاً بذلك، ثم استطردت قائلة: ولكن فيكتوريا تظن أن تناوله لهذه الأقراص هو سبب وفاته.

- هذا قول لا يستقيم مع المنطق، أتريدين أن تقولي إن بعضهم قد استبدل الأقراص الخاصة بهذا المرض بأقراص أخرى سامة؟

- هذا أمر بعيد عن العقل، ولكن هذا ما خطر ببالها.

- يمكننا أن نذهب إلى الدكتور غراهام ونسأله المشورة.

* * *

على الفور بدأت موللي في سرد القصّة للدكتور غراهام، وقد بدا عليها الانفعال فخرجت كلماتها متقطّعة، فناب عنها زوجها في إكمال القصّة. فردّ الدكتور غراهام قائلاً: ما الذي جعلها تعتقد بهذه الفكرة؟

فردّ تيم بلهجة اليائس قائلاً: ربما كانت الزجاجة مختلفة. هل تظنين ذلك يا موللي؟

- لا، لقد قالت بأنه كانت توجد زجاجة مكتوب عليها اسم الدواء سيرينايت لم يسبق أن رأتها في حجرته من قبل. لقد ذكرت

أنها تحفظ أسماء المستحضرات والعقاقير الموضوعة على رفّ الحمّام لأنها كانت تنظّف المكان يومياً، أما تلك الزجاجة فلم ترَها إلا يوم الوفاة.

فقطب الدكتور غراهام جبينه وقال: هذا شيء غريب! هل تلك الفتاة متأكّدة من ذلك؟

وكانت الحدّة بادية في سؤال الدكتور فحملقا إلى وجهه لأنهما لم يتوقّعا أن يُظهِر هذا الاهتمام، ثم قالت موللي: أعتقد بأنها واثقة.

فقال الدكتور غراهام بتصميم ظاهر: من الأفضل أن أتحدّث مع الفتاة شخصياً.

* * *

بدا السرور على وجه فيكتوريا عندما طلبت منها موللي أن تُعيد سرد روايتها أمام الدكتور، وقالت: أنا لم أضع الزجاجة هناك ولا أعرف مَن الذي وضعها.

فسألها الدكتور قائلاً: ولكنك تظنين أنها وُضعت هناك، أليس كذلك؟

- بلى، فلم تكن موجودة هناك من قبل يا دكتور.

- ألا يُحتمَل أن الميجور كان يحتفظ بها في أحد الأدراج أو في حقيبته أو في أي مكان آخَر؟

فهزّت الفتاة رأسها بعناد ثم قالت: وهل يفعل ذلك إذا كان مضطراً إلى تناول تلك الأقراص طوال الوقت؟

- لا، إنه من العقاقير التي يتناولها المريض عدّة مرّات في اليوم. ألم تشاهديه يتناولها أو يتناول أقراصاً أخرى مشابهة؟

- لم تكن توجد أقراص من ذلك النوع قبل الوفاة، وعندما قيل إن تلك الأقراص كان لها دخل في وفاته فكّرت في احتمال أن يكون قد وضعها عدو له عمداً ليقتله.

فقال الدكتور معلّقاً: هذا هراء يا فتاتي!

فسألته قائلة: هل تعني أن تلك الأقراص دواء جيد؟

- نعم، إنها دواء جيد، بل وضروري، فلا داعي إلى قلقك. وأؤكّد لك أنه لم يوجد خطأ فيما يختصّ بالدواء، بل كان هو الدواء المناسب لحالته.

- أشكرك يا دكتور؛ لقد أزحت حملاً ثقيلاً عن كاهلي.

* * *

ولكن الحمل الثقيل كان قد انتقل إلى كاهل الدكتور غراهام. إن القلق الذي رواده في فراشه في الصباح أصبح حقيقة منذ تلك اللحظة.

* * *

الفصل الثامن

حديث مع إستر والترز

عندما رأى السيد رافيل الآنسة ماربل تقترب من المكان الذي يجلس فيه مع سكرتيرته قال: هذا المكان لا يستطيع الإنسان أن يخطو فيه خطوة إلا إذا تعثّرت قدماه بدجاجة عجوز!

فسألته سكرتيرته قائلة: وإلى أي مكان تقترح أن يذهبن؟

- مجال الاختيار واسع، إلى توركيه على سبيل المثال، ومن المؤكّد أنهن سيسعدن هناك.

- نفقات المجيء إلى هنا لا يتحمّلها إلا القليل، وليس الكل سعيد الحظّ مثلك.

- ما أنا إلا كتلة من الآلام والأوجاع، فهل تستكثرين عليّ بعض المتعة؟ وأنت، ما العمل الذي تقومين به؟ هل أكملت كتابة الخطابات؟

- لم أجِد متّسعاً من الوقت.

- وفي أي شيء يضيع وقتك؟ لقد جئت إلى هنا كي تعملي

لا لتجلسي في الشمس!

كانت إستر والترز قد تعوّدت على سماع مثل هذه العبارات خلال عملها معه عدّة سنوات فلم تكن تعيرها اهتماماً، فالرجل يقاسي آلاماً متواصلة، وهذه الثورات من الوسائل التي يستخدمها للتخفيف عن نفسه.

ثم صاح السيد رافيل قائلاً: جاكسون!

وعندما جاءه طلب منه أن يعود به إلى الداخل ليقوم بالتدليك له.

ثم جاءت الآنسة ماربل ومعها خيوطها فجلست بجوار إستر والترز وقالت: أرجو أن لا أزعجك بجلوسي معك!

- لا، وعلى كل فلن أمكث طويلاً؛ إذ إنني مضطرّة إلى العودة كي أكتب بعض الخطابات التي أملاها عليّ السيد رافيل، ولكن لا بأس في أن أمتّع نفسي بهذه الشمس الجميلة بضع دقائق أخرى.

لم تكن إستر بالمرأة الظريفة، ولكن باستطاعتها أن تكون كذلك لو أرادت. وقد تعجبّت الآنسة ماربل من هذا، ثم حاولت بصوت أكسبته رقة وعذوبة أن تُدير معها دفّة الحديث نحو جاكسون أولاً، فعرفت أنه مدلّك ماهر يعمل مع السيد رافيل منذ تسعة أشهر وأنه غير متزوّج، ثم تحوّلت بأسئلتها إلى السيد رافيل فعرفت أن إستر تعمل معه منذ أربع سنوات أو خمس عقب وفاة زوجها الذي لم يترك لها مالاً، وأن لها ابنة بالمدارس، وأنها لا تجد صعوبة في العمل معه بعد أن درست شخصيّته، فهو شديد الغضب شديد المعارضة سريع التضجر من الناس

دائم التغيّر لمن يعمل معه إلى أن يستطيع السيطرة عليه، أما معها فقد كانا متفاهمَين دائماً.

ثم عادت الآنسة ماربل إلى الحديث عن جاكسون مرّة أخرى، فعرفت أنه شاب لبِق إلى أقصى حد واسع الإدراك يضع نفسه في مواقف صعبة أحياناً. ولم تجد الآنسة ماربل في هذه التعبيرات ما يساعدها في خطّتها، فعادت إلى الثرثرة من جديد حول رباعي هواة الطبيعة، الزوجين هيلنغدون والزوجين دايسون، فأخبرتها إستر قائلة: إن الزوجين هيلنغدون يأتيان إلى هنا منذ ثلاث أو أربع سنوات، أما دايسون فكان يتردّد على هذا المكان منذ وقت أبعد من ذلك، وفي أول الأمر كان بصحبة زوجته الأولى التي تُوفّيت لضعف صحّتها في إحدى جزر الهند الغربية، وقد اقترنت وفاتها ببعض الفضائح، ثم تزوّج لاكي التي تَمُتّ بصلة قرابة إلى زوجته الأولى، وقد تعرّفا على الزوجين هيلنغدون حينما أتيا إلى هنا منذ ثلاث أو أربع سنوات، والأخيران يبدوان في غاية الظرف ويتميّزان بالهدوء.

فقالت الآنسة ماربل: الجميع هنا يُشيدون بإخلاصهما لبعضهما.

فنظرت إستر إليها بحدّة ثم قالت: وهل تظنين أن الحقيقة خلاف ذلك؟

فقالت الآنسة ماربل: إن الرجل الهادئ من طراز الكولونيل هيلنغدون كثيراً ما ينجذب إلى المرأة اللعوب.

وتوقّفت الآنسة ماربل قليلاً ثم استطردت قائلة: لاكي؟ يا له من اسم غريب! هل تظنين أن السيد دايسون لديه فكرة عمّا

يجري؟

فقالت السيدة إستر في نفسها: يا لهؤلاء العجائز! إنهنّ يحببن أخبار الفضائح.

ثم قالت بعدم اكتراث: ليس لديّ فكرة.

ولكن الآنسة ماربل سرعان ما انتقلت إلى الحديث عن الميجور قائلة: إن ما حلّ بالميجور بالغريف حادث مؤسف! ألا تشاركينني في هذا الرأي؟

فوافقتها السيدة إستر بلهجة لا تدلّ على اقتناعها بما قالت ثم أضافت قائلة: ما آسف له حقاً هو حال الزوجين كيندال.

- معك حق، فمن المحزن أن يحدث هذا في أي فندق.

- إن القوم يأتون إلى هنا لقضاء وقت سعيد ينسون فيه متاعبهم ولا يحبّون ما يذكّرهم بالموت. إن الزوجين كيندال لا يزالان في عنفوان شبابهما ولم يمضِ على استلامهما للفندق من آل سندرسن سوي بضعة شهور، وليس لهما خبرة سابقة في إدارة الفنادق، لذا فهما في غاية القلق.

- هل تظنين أن هذا الحادث سيضرّ بهما؟

- لا أظن ذلك لأنه غالباً ما ينسى الناس مثل هذه الحوادث في يوم أو يومين، وقد يكون بمجرّد إتمام مراسم الجنازة. وقد أوضحت ذلك لموللي، ولكنها تنساق وراء الأفكار السوداء. إنها تبذل المستحيل كي تبدو مرحة سعيدة، وإن كان المجهود الذي تبذله يسبّب لها نوعاً من الإرهاق، كما تنتابها نوبات من الانقباض وأخشى أن لا تكون حالتها العقلية كاملة الاتزان.

- مسكينة! ولكن هذه الحالة ليست نادرة الحدوث.

- أجل، فالمُصاب بمثل هذه الحالة ينجح في التظاهر بعكسها.

- لم يقل لي الميجور إنه كان مريضاً بارتفاع في ضغط الدم.

- لا بدّ أنه ذكر ذلك لشخص ما، وأظنه السيد رافيل. ويقوي ظنّي أنه يقول عكس ما يقصد. وقد قال لي جاكسون إن الميجور يجب أن يكون أكثر حرصاً بالنسبة إلى عدد لفافات التبغ التي يتناولها.

فقالت الآنسة ماربل بتمهّل: فهمت، لقد كان الميجور مملاً بتكرار معظم قصصه.

- هذا أسوأ ما في الأمر!

- ولكنني لم أكن أهتمّ كثيراً بهذا التكرار لأنني لم أكن أصغي إليه باهتمام.

فضحكت إستر بابتهاج ثم قالت: يا لك من ماكرة!

- توجد قصّة خاصة بجريمة قتل كثيراً ما رواها، وربما رواها لك.

وقبل أن تجيب إستر على تساؤلها أخرجت من حقيبة يدها إصبع شفاه الأحمر وقالت: معذرة، كنت أظن أنني فقدته. ماذا كنت تقولين؟

- كنت أتساءل: هل روى لك الميجور قصّته المفضّلة عن

جريمة القتل؟

- أعتقد ذلك، وعلى ما أظن أنها تدور حول حادث انتحار بالغاز حيث قتلت الزوجة زوجها بمخدّر ثم وضعت رأسه في فُرن الغاز. أهذه القصة هي التي تقصدينها؟

- لا، لقد كان يروي العديد من القصص ولم أكن أهتمّ بالإصغاء، كما كانت معه صورة دأب على عرضها على مستمعيه.

- آه، تذكّرت، وإن كنت لا أذكر مضمون الصورة، هل أراك إياها؟

- لا، لم يطلعني عليها لأننا قوطعنا.

* * *

الفصل التاسع

الآنسة بريسكوت وآخرون

في حديث هامس بين الآنسة ماربل والآنسة بريسكوت هيّأته لهما الظروف ببُعد السيد بريسكوت عن أخته (رغم نُدرة حدوث ذلك) قامت الأخيرة بكشف فضيحة دايسون وزوجته الأولى عندما كانت على قيد الحياة، فإن الطبيب الذي فحصها بعد موتها لم يكن مقتنعاً أن الوفاة طبيعية. ومن الواضح أن لاكي، ابنة عم الزوجة الأولى، قد أتت إلى هذه الجزيرة للانضمام إليهما، ويبدو أنها كانت تشترك مع الزوج غريغوري دايسون في أبحاث النباتات والفراشات. ومن الغريب أن السيد دايسون تزوّج لاكي بعد وفاة زوجته بشهر واحد تقريباً، وهذا التصرّف يدلّ على تجرّده من الذوق.

فسألتها الآنسة ماربل قائلة: هل تركَت مالاً؟

- لا أدري، ولكنه يكرّر عبارته الخاصة بزوجته الحالية وهي أنها مفتاح حظّه، والبعض يظن أنه كان سعيد الحظّ أن تزوج امرأة ثرية، ولا يفوتنا أنها امرأة جميلة جداً.

- وهل الزوجان هيلنغدون على قدر معقول من الثراء؟

– أعتقد أن أحوالهما ميسورة، فلهما ولدان في المدارس الخاصة ومنزل رائع في إنكلترا على ما أظن، كما أنهما يتنقّلان طوال فصل الشتاء.

وفجأة جاء السيد كانون واقترح القيام بنزهة على الشاطئ فلبّت أخته اقتراحه، أما الآنسة ماربل فقد فضّلت البقاء.

ومرّ غريغوري دايسون بالآنسة ماربل فلوّح لها محيياً. والواقع أنها كانت تظن أن ذلك الرجل هو القاتل المحتمَل؛ فكل شيء يتطابق تماماً عليه، ولا سيما القصّة التي تدور حول وفاة زوجته الأولى! فهل كان الميجور يقصده في حديثه عن قصّة قاتل زوجته؟

وبعد تحيّة غريغوري دايسون بلحظات فوجئت بزوجته لاكي تسألها عن زوجها وهي في حالة اضطراب ظاهر. ثم جاء السيد رافيل مستنداً إلى ذراع جاكسون، وبعد أن أجلسه جاكسون على المقعد ذي العجلات صرفه بعصبية. وأحسّت الآنسة ماربل أن الحظّ ساق إليها فرصة عظيمة بتواجد السيد رافيل وحده، وهذا أمر نادر الحدوث، فقرّرت التحدّث إليه، ولكن الرجل كان لا يطيق ثرثرة العجائز وقد يعود إلى مقصورته إذا شعر بذلك، إلا أنها قرّرت المجازفة فدنت منه وقالت: سيد رافيل، هل أستطيع أن أطلب منك صنيعاً؟

– حسناً، أتريدين اشتراكاً أم تبرعاً بإحدى الجمعيات أم إرسالية دينية إلى إفريقيا أم مدرسة تحتاج إلى إصلاح؟

– صحيح أنني أهتمّ بأشياء عديدة من هذا القبيل وسأكون سعيدة لو أنك تبرّعت بها، ولكن هذا ليس ما كنت أريد أن

أطلبه منك الآن. لقد كنت أريد أن أسألك: هل حدّثك الميجور بالغريف بقصّة تتعلّق بالقتل؟

- آه! إذن فقد حدّثك عنها أنت أيضاً؟ وأعتقد أنك صدّقتِه، أليس كذلك؟

- هلاّ أخبرتني بما حدّثك عنه بالضبط.

- لقد كان دائم الثرثرة عن مخلوقة جميلة تُعَدّ صورة طبق الأصل من لوكريشيا بورجيا، جميلة شابة ذات شعر ذهبي، وما إلى ذلك.

بدت الدهشة على وجه الآنسة ماربل وقالت: ومَن كان ضحيّتها؟

- زوجها بالطبع، فماذا كنت تتوقّعين؟

- وهل استخدمت السمّ؟

- لا، لقد أعطته مخدّراً ثم وضعت رأسه في فُرن الغاز، وبعد ذلك ادّعت أنه مات منتحراً.

- هل أطلعك على صورة شخصية؟

- صورة للمرأة؟ لا، ولماذا يفعل ذلك؟!

- آه...

شعرت الآنسة ماربل بالحيرة؛ فقد أخذ الحديث صورة مغايرة، إذ يبدو أن الميجور كان يقضى معظم وقته في رواية قصص جرائم القتل ولم يكتفِ بقصص المغامرات والحيوانات المفترسة!

وبينما هي مستغرقة في تأمّلاتها باغتتها صيحة السيد رافيل على جاكسون دون أن يجيبه أحد فتطوّعت بالبحث عنه، فوجدته جالساً مع تيم يحتسيان الشاي.

ثم وقفت الآنسة ماربل تتحدّث مع تيم بشأن السيد رافيل والعمل معه والمستوى الاجتماعي الذي يتفوّق به على مَن في الفندق، ثم مرّ بها الدكتور غراهام وفي يده كتاب متّجهاً إلى إحدى الموائد المطلّة على البحر، فقالت الآنسة ماربل: الدكتور غراهام يبدو قلقاً.

فقال تيم: نحن جميعاً يخالجنا نفس الشعور.

- أنت أيضاً يا سيد تيم؟ هل سبب ذلك هو وفاة الميجور؟

- لا، لم يَعُدْ يقلقني هذا الحادث ويبدو أن الجميع قد نسوه، ولكن ما يقلقني هو زوجتي موللي. أتعرفين شيئاً عن الأحلام يا آنسة ماربل؟

فصاحت بدهشة قائلة: الأحلام؟!

- أجل، أقصد الأحلام المزعجة التي تراودها طوال الوقت.

- وماذا ترى في تلك الأحلام؟

- ترى أشخاصاً يطاردونها أو يراقبونها ويتجسّسون عليها. إنها لا تستطيع التخلص من تأثير تلك الأحلام حتى في اليقظة.

- لا شكّ في أن الطبيب...

فقاطعها قائلاً: إن لديها عقدة نفسية نحو الأطباء ولا تقبل استشارتهم، إنها تبدو وكأنها شخص أخَر منذ...

لكنه لم يستكمل كلامه ونهض ليُكمل أعماله اليومية على حدّ قوله.

* * *

قضت الآنسة ماربل لحظة تفكير ثم اتّجهت نحو الطبيب وقالت: يجب أن أعتذر إليك يا دكتور غراهام.

وصمتت بُرهة ثم استطردت بإصرار متجاهلة دهشته قائلة: لقد كذبت عليك بشأن صورة ابن أختي، فلم يكن يوجد شيء ممّا قلته لك. الحقيقة أن الميجور بالغريف روى لي قصّة عن قاتل وأوشك أن يُطلعني على صورته، ثم ارتبك فجأة لظهور بعض الأشخاص، وقد أصابني قلق شخصيّ دفعني إلى تفسير الوقائع ولم أجِد وسيلة إلى تنفيذ هذا القرار إلا باللجوء إلى الكذب، فمعذرة دكتور غراهام!

فسألها قائلاً: وهل ظننت أن الصورة التي كان سيُطلعك عليها هي صورة القاتل؟

- هذا ما قاله لي.

- وهل صدّقتِه؟

- لا أدري، ولكنه مات في اليوم التالي.

كان وقع العبارة شديداً على الدكتور غراهام فقال: أجل،

لقد مات في اليوم التالي.

- وقد اختفت الصورة.

- معذرة يا آنسة ماربل، هل ما تقولينه لي الآن صحيح؟

- أعذرك في شكّك، ولو كنت مكانك لفعلت، ولكنه صحيح. على كل حال لقد أردت أن تحصل على أكبر قدر من المعلومات في حالة ما إذا قرّرتَ أن تتخذ أي إجراء بصدده.

* * *

الفصل العاشر

قرار في جيمس تاون

وصل الدكتور غراهام إلى مكتب رئيس المدينة في جيمس تاون، ودار حوار بينه وبين صديقه دافنتري، وهو شاب جاد في الخامسة والثلاثين من عمره. أعاد الدكتور غراهام على سمع صديقه تفصيلات الوقائع التي سمعها وكانت مبعث قلقه، وقد شمل الحديث شهادة الوفاة وتوقيعها دون أن يساور الطبيب الذي صرّح بالدفن أية شكوك، ورغم تشكّك الطرفين في رواية تلك السيدة العجوز واحتمال خطأ الخادمة التي لم تنتبه إلى وجود الزجاجة من قبل فقد وجدا باب الشكّ مفتوحاً أمامهما على مصراعيه.

قال غراهام بتأنٍ: ولكن الفتاة شديدة الثقة بما تقول!

- أتظن أنها تعرف أكثر ممّا قالت؟

- هذا جائز.

- يجدر بك أن تحاول استدراجها كي تبوح لك بكل ما تعرفه؛ فنحن لا نريد أن نثير ضجة دون شيء أكيد نستند إليه،

ولكن إذا لم يكن ضغط الدم هو سبب الوفاة فما هو السبب الحقيقي في رأيك؟

- توجد اليوم وسائل عديدة، فلو كان الغرض هو التخلّص من الميجور على وجه السرعة لكان الإجراء المنطقي هو إعطاؤه السمّ في الشراب ثم تُوضع في حجرته زجاجة أقراص السيرينايت (وهو علاج لخفض ضغط الدم) للإيهام بأن الوفاة طبيعية، ثم تُروّج إشاعة مرضه بذلك.

- ومَن الذي روّج هذه الإشاعة؟

- حاولت أن أعرف ذلك دون جدوى. لقد رُوِّجت الإشاعة بمهارة فائقة فانتشرت على ألسنة الجميع بمجرّد وفاته.

- ألم يكن من السهل وضع السمّ له في الشراب؟

- كان سيترتّب على ذلك إجراء تحقيق، وربما اقتضى الأمر تشريحَ الجثّة.

وبعد لحظة صمت رفع دافنتري رأسه وقال: ماذا تريد أن أفعل الآن؟ هل أحوّل الأمر إلى المباحث الجنائية؟ ولكن هذا يستدعي إخراج الجثّة، وعندئذ ستتفجّر مشكلات عديدة.

- يمكننا أن نكتم الأمر.

- أتظن ذلك ممكناً في سانت أونوريه؟ ومع ذلك فلا بدّ من عمل شيء، وإن كنت أرى أن الأمر مجرّد أوهام.

- ليته يكون كذلك!

* * *

الفصل الحادي عشر

فترة المساء في فندق النخيل الذهبي

انشغلت موللي بترتيب وتجهيز الموائد في قاعة الطعام، ثم ألقت نظرة أخيرة إلى ما فعلت، ثم خرجت إلى الشرفة. ولم يكن أحد من النزلاء فيها، وكان المساء على وشك أن يحلّ، وهو مساء ككل الأمسيات التي سبقته والتي تمنّتها موللي وظلّت تتمتّع بها إلى بضع ليالي خلت. ولكن زوجها يبدو نهباً للاضطراب والقلق، وهذا أمرٌ طبيعي؛ فالمغامرة التي أقدما عليها لا بدّ أن تنجح، ولكن موللي تعتقد بأن ذلك ليس ما يقلق تيم، وإنما هي التي تقلقه، وإن كانت لا تجد سبباً لذلك.

وبينما هي سابحة في تأمّلاتها فوجئت بغريغوري دايسون يقف أمامها. وقد أربكه فزعها فأبدى لها أسفه واعتذاره، فقالت: لم أسمعك وأنت قادم، ولذا أفزعتني.

- هل لك أن تتناولي معي كأساً من العصير؟

- ليس الآن، لا يزال أمامي ما يجب عمله.

فقال غريغوري: لا تتهرّبي منّي، آمل أن يقدّر تيم ما أُوتي

من حظّ.

- لا تخشَ شيئاً من هذه الناحية، فأنا كفيلة بأن أساعده على ذلك.

ثم قالت محاولة تغيير الموضوع: هل تمتّعتم برحلتكم بعد ظهر اليوم؟

- أتريدين الحق؟ أنا أشعر بالضجر والملل من الطيور والفراشات أحياناً. ما رأيك في أن نخرج أنا وأنت للنزهة يوماً؟

تخلّصَت منه ضاحكة وأسرعت مهرولة إلى الداخل، وهناك استقبلها زوجها قائلاً: تبدين في عجلة من أمرك. مَن كان معك في الخارج؟

- غريغوري.

- وماذا كان يريد؟

- كان يحاول مغازلتي.

- عليه اللعنة!

- لا تشغل نفسك بالأمر فأنا قادرة على إيقافه عند حدّه.

همّ تيم بأن يتوجه إلى غريغوري لتأديبه، ولكنه انشغل بعمله، وفي الوقت نفسه تسلّلت موللي من باب المطبخ الخلفي نحو الشاطئ في حين خرج غريغوري عائداً إلى مقصورته ساخطاً. ثم سمع صوتاً يناديه من خلفه مختفياً بين الشجيرات، ففزع في أول الأمر ثم فُوجئ بفيكتوريا تتقدّم منه ومعها زجاجة

صغيرة تحوي أقراصاً وهي تقول: هل هذه الزجاجة تخصّك؟

- آه! أقراص السيرينايت! أين عثرت عليها؟

- في المكان الذي وُضعت فيه في حجرة السيد...

- ماذا تقصدين؟

- السيد الذي تُوفّي.

- لا أدري عن أي شيء تتحدّثين! أتقصدين أنك وجدتِها في حجرة الميجور؟

- هو كذلك يا سيدي، إن الطبيب ورجال الأمن الذين جاؤوا من جيمس تاون فحصوا كل شيء وأعطوني ما كان في حمّام الميجور لأُلقيه بعيداً ومن بينها هذه الزجاجة.

- ولماذا لم تُلقِها بعيداً هي الأخرى؟

- لأنها تخصّك وربما افتقدتَها، ولعلك تذكر أنك سألتني عنها يوماً.

- نعم، أذكر ذلك. كنت أظن أنني وضعتها في مكان ونسيته.

- لا يا سيدي، لم تضعها في أي مكان. لقد أُخِذت من مقصورتك ووُضِعت في مقصورة الميجور.

فقال بحدّة: وكيف عرفت ذلك؟

- بعضهم وضعها في حجرة الميجور، وها أنا أُعيدها إليك.

- مهلاً يا فتاة، ماذا تقصدين؟ هل رأيت شيئاً؟

ولكن الفتاة أولته ظهرها وأطلقت ساقيها للريح واختفت بين الأشجار.

* * *

كانت موللي وقد صلت إلى الشاطئ وجلست تتأمّل البحر الممتدّ أمامها، وفجأة انتابتها نوبة بكاء. بكت كثيراً حتى قطعت عليها السيدة هيلنغدون خلوتها وأظهرت أسفها لما هي عليه، ثم استرسلا في أحاديث عن الحياة الزوجية وأفراحها وأتراحها، فأبدت موللي إعجابها بالحياة السعيدة التي تحياها السيدة هيلنغدون مع زوجها، ولكن السيدة إيفيلين هيلنغدون فجّرت قنبلة لم يتوقّعها أحد ولا سيما موللي عندما قالت: إذا أردت الحقيقة يا موللي، فأنا وإدوارد لم نتبادل كلمة واحدة على انفراد منذ ثلاث سنوات!

- ماذا تقولين؟! لا أستطيع أن أصدّق ذلك.

- هذه هي الحقيقة يا موللي. لقد أجاد كل منا تمثيل الدور، ولا يوجد ما يدعونا إلى المشاحنة.

- هل توجد امرأة أخرى؟

- نعم، وتستطيعين أن تخمّني مَن هي.

- أتقصدين السيدة دايسون، لاكي؟

فأومأت إيفيلين برأسها في حين قالت موللي: أعرف أنه يبالغ في ملاطفتها، ولكنني ظننت أن ذلك مجرّد...

فقاطعتها قائلة: مجرّد ملاطفة بريئة ولا شيء وراءها؟ لقد تعبت من كتمان الأمر في صدري والتظاهر بدور الزوجة المثالية السعيدة. إن زوجي يحبها، ولغبائه فقد صارحني بهذا الأمر ظناً منه أنه بذلك يخفّف من وقع الصدمة عليّ! يريد أن يكون أميناً ومخلصاً، ولكنْ فاته أن الأمر لم يكن سهلاً عليّ.

- هل اقترح عليك الانفصال؟

- لنا ولدان نحبهما نحن الاثنين ولا نريد أن نهدم بيتنا، كما أن لاكي لا ترغب في الطلاق لأن زوجها قد ورث ثروة ضخمة من زوجته الأولى، ولذلك اتفقنا على إبقاء الحال كما هو.

كان صوت إيفيلين يقطر مرارة ممّا دعا موللي إلى سؤالها قائلة: وكيف تتحمّلين هذه الحياة؟

- التعوّد! ولكن ينتابني دافع قوي لقتل تلك المرأة أحياناً.

فزعت موللي لما خالط صوت إيفيلين من مرارة، ولكنها استطردت قائلة: لنكفّ عن الحديث عنّي ولنتحدّث عنك... أريد أن أعرف ما بك.

فلزمت موللي الصمت برهة ثم قالت: أشعر بأن بي شيئاً غير طبيعي.

- غير طبيعي؟ ماذا تعنين بذلك؟

فهزّت موللي رأسها بأسى ثم قالت: أنا خائفة جداً.

- وما الذي يخيفك؟

- كل شيء! إن الخوف ينمو داخلي، أسمع حفيفاً بين الأشجار وصوت خطوات متلصّصة، ويخيل إليّ أنه يوجد مَن يراقبني ويتجسّس عليّ طول الوقت. يوجد أحد يكرهني... أجل، يوجد أحد يكرهني!

- منذ متى وأنت على هذه الحال يا طفلتي العزيزة؟

- لا أدري. لقد بدأت تدريجياً، ولكن توجد أشياء أخرى.

- وما هي؟

- تأتي عليّ أوقات لا أستطيع أن أتذكّر ما جرى فيها.

- أتقصدين أنك تُصابين بنوبات فُقدان الذاكرة أو الغيبوبة؟

- أظن ذلك، فمثلاً في بعض الأحيان تكون الساعة الخامسة وأجد نفسي عاجزة عن تذكّر ما حدث قبلها منذ الساعة الواحدة أو الثانية.

- ربما غفوت بعض الوقت، هذا يحدث كثيراً.

- لا، فأنا لا أشعر بأنني كنت نائمة بعد فترة الضياع تلك لأنني أجد نفسي في مكان مختلف، وأحياناً ألاحظ أنني أرتدي ملابس مختلفة، وأحياناً أقول أشياء للآخرين أو أتحدّث إليهم ثم لا أذكر شيئاً من كل ذلك فيما بعد.

بدت حيرة مَشوبة بعطف على وجه إيفيلين وقالت: عزيزتي موللي! إذا كان الأمر كما تصفين فيجب أن تستشيري طبيباً.

- آه، لا أستطيع؛ لا أريد ذلك، أنا لا أحتمل الاقتراب من طبيب.

فأخذت إيفيلين يد موللي بين يديها وقالت: أنت تعذّبين نفسك بلا داع. يوجد العديد من الاضطرابات العصبية التي لا خطر منها وبإمكان الطبيب أن يطمئنك في فترة قصيرة.

- وقد لا يستطيع، ويحتمل أن يجدني حالة غير طبيعية.

- ولماذا تظنين ذلك؟

- لأنني لا أجد سبباً لذلك.

- ألا تستطيع أسرتك، أمك أو أخواتك أو أي فرد من أقربائك أن يحضر إلى هنا؟

- لست على وفاق مع عائلتي منذ أن تزوجت بزوجي تيم، فقد كانت أسرتي كلها تعارض هذا الزواج. لا أريد أحداً من أسرتي، لا أريد إلا تيم زوجي.

- هل أخبرت تيم بهذه الحالة؟

- لا، ولكنني لاحظت قلقه عليّ. إنه يراقبني ويُخيَّل إليّ أنه يحاول مساعدتي أو حمايتي.

- ما زلت عند رأيي أن ذلك كله ليس إلا وهماً، ومع ذلك أرى أنه لا بدّ من استشارة الطبيب.

- الدكتور غراهام العجوز لن ينفعني.

- يوجد غيره في الجزيرة.

- لا حاجة لي بغيره. يجب أن لا أفكر كثيراً في هذه الحالة؛ إذ يبدو أن الأمر كله ليس إلا وهماً. يا إلهي! إن الوقت يمرّ سريعاً ويجب أن أكون في قاعة الطعام الآن للإشراف على إعداد العشاء.

ثم نظرت إلى إيفيلين بحدّة وأسرعت إلى الفندق وإيفيلين تشيّعها بنظرات قلقة متحيّرة.

* * *

الفصل الثاني عشر

ذنوب الماضي لها ظلال طويلة

ظنت فيكتوريا أنها عثرت على صيد ثمين ستجني من ورائه ثروة طائلة، ذلك ما أوحت به إلى زوجها الذي كشفت له عن شكوكها حول موت الميجور من قبل، ولكنه أمرها أن تتوخّى الحذر وإلا وقعت في مشكلات لا تعرف نهايتها، ولكنها كانت تظن أنها أمسكت بطرف الخيط وأن قليلاً من الصبر كفيل بتحقيق ظنونها التي تعتقد بأنها كاليقين.

جاء إدوارد هيلنغدون إلى زوجته إيفيلين وطلب منها حزم حقائبهما للعودة إلى إنكلترا فجأة، وكانت إيفيلين تمشط شعرها وتستمع إليه دون اكتراث، غير أن ذراعيها ارتختا بجانبها ثم نظرت إليه وقالت: لم يمضِ على وصولنا إلى الجزيرة سوى ثلاثة أسابيع!

- أعرف ذلك، ولكن هل لديك مانع؟

- أتريد أن نعود إلى إنكلترا، إلى بيتنا، وتترك لاكي حقاً؟

- إذن كنت تعرفين أن علاقتنا كانت مستمرّة طوال الوقت؟ ورغم ذلك لم يبدُ منك ما يدلّ على ذلك!

- لقد ناقشنا هذا الموضوع منذ سنوات واتفقنا على أن يسير كل منا في طريقه مع المحافظة على المظهر أمام الناس.

وصمتت إيفيلين بُرهة ثم استطردت قائلة: ولكن ما سبب إلحاحك على العودة إلى إنكلترا الآن؟

- لأنني على وشك الانهيار. أنا لم أعُد أستطيع تحمّل الموقف أكثر من ذلك.

لم يَعُدْ إدوارد ذلك الرجل الهادئ المرح، بل كانت يداه ترتجفان ووجهه قد تقلّص ألماً، ثم أخذ يزدرد لعابه بصعوبة ظاهرة وتمتم قائلاً: أريد مغادرة هذا المكان.

- لقد غرقتَ في حب لاكي إلى أذنيك والآن أفقت إلى نفسك... أهذا ما تريد أن تخبرني به؟ ولكن ما سبب هذا الاضطراب الذي يبدو عليك؟

- أنا لست مضطرباً.

- إدوارد، دعنا نضع النقط فوق الحروف. هل يعلم زوجها بما يجري؟

- لا أدري، فهو لم يتكلم بأي شيء ويبدو ودوداً دائماً.

- كثيراً ما يتّصف الرجال بالغباء... أو لعله يحب امرأة أخرى.

- هل حاول مغازلتك؟ لا بد أنه حاول.

فأجابته إيفيلين دون اكتراث قائلة: هذا صحيح، ولكنه يصنع ذلك مع الجميع. أظن أن هذه مجرّد عقدة التظاهر بالرجولة.

- وهل تميلين إليه؟

- أميل إليه؟! أنا أُعجب بروحه المرِحة فقط وأعتبره صديقاً. ولكنني أريد أن تخبرني عن حقيقة السبب الذي يقلقك؟

- لا يمكنك أن تدركي مدى شعور الإنسان عندما يتغلّب على مثل هذه النزوة الجنونية.

- ما يقلقني هو أن يكون لدى لاكي ما تهدّدك به. إدوارد، يجب أن تخبرني بالحقيقة، هذا شرط وقوفي بجانبك.

- إذا لم أغادر هذا المكان سريعاً فسوف أقتلها بسبب ما اضطرّتني إلى فعله. لقد ساعدتها على ارتكاب جريمة قتل.

ساد صمت بين الزوجين، وظلّت إيفيلين تحملق إلى وجهه بذهول ثم قالت: هل أنت مدرك لما تقول؟

- لم أكن أعلم أنني أفعل ذلك عندما طلبَت منّي نسخ إحدى الوصفات الطبية وابتياع بعض العقاقير التي طلبَتها من الصيدلي.

- ومتى حدث ذلك؟

- منذ أربع سنوات عندما كنا في جزيرة المارتنيك، وكانت زوجة غريغوري...

فقاطعته قائلة: أتعني زوجته الأولى جيل؟ أتعني أن لاكي

قد وضعت لها السمّ.

- نعم، وأنا ساعدتُها! وعندما تأكّدتُ...

فقاطعته إيفيلين قائلة: هل أخبرتك بأنك شريكها في الجريمة لأنك نسخت الوصفة وابتعت السمّ؟

- قالت إنها فعلت ذلك بدافع الشفقة. لقد كانت جيل تتعذّب بسبب آلامها وألحّت على لاكي بأن تريحها من ذلك العذاب.

- القتل بدافع الشفقة! وهل صدّقت ذلك؟

لزم إدوارد الصمت لحظة ثم قال: لقد قبلت ما قالته لأنني كنت مغرَماً بها.

- وظللت على تصديقك لها بعد أن تزوجَت غريغوري؟! لا تقُل إن زوجها لا يعلم شيئاً عند هذا الموضوع لأنه من الصعب تصديق ذلك.

هنا انفجر إدوارد وقال صائحاً: إيفيلين، يجب أن أتحرّر من كل هذه القيود، فهي مستمرّة في تعذيبي بما فعلتُ لأنها تعرف أنني لم أعُد أهتم بها. لقد أصبحتُ أمقتها ولكنها تُشعرني بعجزي عن البُعد عنها بسبب هذه الفعلة.

كانت إيفيلين تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم توقفت فجأة وقالت: إن عيبك الأكبر هو شدّة حساسيتك، ولذلك يسهل التأثير عليك بدرجة غير معقولة! لقد فرَضت عليك الوضع الذي تريده هي مستغلّة شعورك بالذنب وجعلت منك مخلب القطّ حتى تكون شريكها في جريمتها. ولكن ثِق بأنك لست شريكاً.

فصاح إدوارد وهو يهمّ بالاقتراب من زوجته، ولكنها تراجعت بعيداً وأخذت تنظر إليه متفحّصة ثم قالت: إدوارد، هل ما ذكرته لي هو الصدق أم مجرّد تظاهر؟

- ولماذا أتظاهر بالله عليك؟!

- قد يكون سبب ذلك أنني لم أعُد أثِق في أحد فأصبحت لا أستطيع تمييز الحقيقة عندما أسمعها.

- لننسَ كل هذا ولنعُد إلى إنكلترا، إلى بيتنا.

- سنفعل ذلك، ولكن ليس الآن، وستستمرّ في التظاهر فترة أخرى. هل تفهمني؟ ويجب أن لا تشعر لاكي بما تنوي أن تفعله.

* * *

الفصل الثالث عشر

مقتل فيكتوريا جونسون

التقت إيفيلين بتيم فقالت له: أنا قلقة على موللي، إن الاضطراب يبدو واضحاً عليها وينبغي أن تعرضها على طبيب.

- أجل؛ أنا أعرف أنها سريعة الاضطراب هذه الأيام، ولكنها لن تقبل الذهاب إلى طبيب لأنها تكره الأطباء، فكثير من الناس يخافون على أنفسهم لمجرّد ذكر الطبيب. أنا قلق بشأنها كثيراً.

- ألا يمكن حضور أحد من أُسرتها للعناية بها؟

- لو حدث ذلك لازداد الأمر سوءاً؛ فهم يثيرون أعصابها، ولم تكن العلاقة طيبة بينهم منذ تزوجنا، ومع أمها بصفة خاصة. إن بُعدها عن أسرتها خيرٌ لها لأنني أرى أن الأسرة كلها غريبة الأطوار.

- إنها تشكو من نوبات غيبوبة تصيبها، كما أنها خائفة من الناس وأعتقد أن هذا ما يسمّونه بعقدة الاضطهاد.

- لا تقولي ذلك. إن أعصابها مضطربة قليلاً فقط، وقد

يكون ذلك بسبب مجيئنا إلى هنا.

- ألا ترى أنه يجب أن تُعرَض على اختصاصي في التحليل النفسي؟

- لن أسمح لمثل هؤلاء بتعذيبها، وأعتقد أن تدخّلهم سيزيد الأمر سوءاً، ولو لم تلجأ إليهم أمها...

فقاطعته قائلة: إذن توجد سابقة في الأسرة من هذا القبيل... أعني عدم الاستقرار؟

- لقد انتزعتُها من كل ذلك. ولكن هذه الحالة ليست وراثية؛ كل ما في الأمر أن أعصابها مضطربة فقط. إن موللي كاملة الاتزان ولكن موت الميجور العجوز قد أثار فيها كل هذا الاضطراب.

- ليس في الوفاة ما يسبّب للإنسان فقد السيطرة على نفسه.

بدا تيم يائساً فأحست إيفيلين بالشفقة عليه. ثم أخذ تيم يحملق نحو الدرَج في أقصى الشرفة، فإذا موللي قادمة من اتجاه الشاطئ لاهثة الأنفاس وجسمها يهتز وهي في حالة ذهول تام، فصاح تيم قائلاً: موللي، ماذا حدث؟!

ثم أسرع هو وإيفيلين نحوها، وبكلمات متقطّعة قالت: لقد عثرت عليها هناك بين الشجيرات... انظر إلى يدي.

كانت يداها ملطّختين بالدماء الحمراء الداكنة، فأسرع تيم بالنزول من أعلى الدرَج وأحاطت إيفيلين موللي بذراعها وأجلستها. وبعد لحظات عاد تيم يصعد الدرَج ببطء وعلامات

الذهول مرتسمة على وجهه وهو يقول: إنها إحدى فتيات الفندق... فيكتوريا. لقد طعنها أحدهم بسكين!

* * *

حول فراش موللي الذي رقدت عليه بعد الصدمة وقف الدكتور غراهام والدكتور روبرتسون طبيب شرطة جُزر الهند الغربية الذي اختبر نبض موللي، ثم أومأ إلى مفتّش الشرطة الذي وقف عند مؤخّرة الفراش قائلاً: بضعة أسئلة لا أكثر.

وهنا التفت المفتّش إلى موللي وقال: والآن، أخبرينا كيف عثرت على الفتاة يا سيدة كيندال؟

وكأن موللي لم تسمع، ولكن بعد لحظة انفرجت شفتاها قائلة بصوت كأنه آتٍ من بعيد: بين الشجيرات... أبيض.

- أتقصدين أنك رأيت شيئاً أبيض بين الشجيرات فحاولت أن تعرفي ما هو؟

- نعم، أبيض... كان ملقى هناك فحاولت أن أرفعه، ولكن الدم لطخ يدي.

وهنا أصابت جسدَها رعدة، فنظر غراهام إلى المفتّش وهزّ رأسه في حين همس روبرتسون قائلاً: إنها لا تستطيع أن تتحمّل أكثر من ذلك.

ولكن المفتّش استطرد قائلاً: ماذا كنت تفعلين في الممرّ المؤدي إلى الشاطئ؟

- دافئ... جميل... عند الشاطئ.

- هل عرفت مَن تكون تلك الفتاة؟

- فيكتوريا. فتاة لطيفة تضحك دائماً... والآن لن تضحك ثانية. لن أنسى ذلك المنظر، لن أنساه أبداً.

ثم ارتفع صوتها بعصبية فصاح تيم قائلاً: موللي، كفى!

وبصوت رقيق قال الدكتور روبرتسون: اهدئي واسترخي، والآن وخزة بسيطة.

وأغمد إبرة المحقن في ذراعها ثم قال للمفتّش: لم تعُد في حالة تسمح باستجوابها، وقد يستمرّ ذلك إلى أربع وعشرين ساعة. سوف أخبركما عندما تسمح حالتها بالاستجواب.

* * *

أخذ العملاق الأسمر الوسيم ينقل بصره بين الرجال الجالسين إلى المائدة ثم قال: أُشهد الله على أن هذا هو كل ما أعرفه، ولا أعرف شيئاً أكثر مما قلته لكم.

وكان العرق يكسو جبهته، أما دافنتري فقد أطلق زفرة يائسة وأومأ إلى مفتّش الشرطة ويستون بأن ينصرف الرجل. وما إن غادر جيم أيلليس الحجرة حتى قال المفتّش: لا شكّ في أنه يعرف أكثر ممّا قال، ولكننا لن نحصل منه على أكثر من ذلك.

فسأله دافنتري قائلاً: هل تظن أن له يداً في الموضوع؟

- لا أظن، فقد كانا على وفاق تام.

- أتظن أنه ضالع معها فيما كانت تفعله؟

- ليست لديه الجرأة الكافية، ثم إن ما كانت تعرفه الفتاة ليس ذا أهمية.

- قد تكمن أهميته في محاولتها استخدامه للابتزاز.

- لا أدري إذا كان باستطاعتنا تسميته بذلك أم لا، مع أنني أشكّ في أنها تعرف معنى كلمة الابتزاز.

لقد رأت شيئاً يتعلّق بزجاجة الأقراص أثار حيرتها. إن الزجاجة تخصّ السيد دايسون، لذلك يحسن أن أستدعيه لكي أسأله.

دخل غريغوري مَرِحاً مبتسماً كعادته وهو يقول: ما الذي أستطيع أن أفعله لمساعدتكم؟

فقال المفتّش: هل تتناول عقاراً اسمه سيرينايت؟

- نعم، وهي أقراص حمراء صغيرة.

- هل لديك وصفة طبية به؟

- أجل، وسأُطلعك عليها إن شئت.

- كم قرصاً تتناول يومياً؟

- قرصين ثلاث مرات في اليوم.

- هل معك كميّة كافية منها؟

- نعم، عندي نحو ست زجاجات، وأنا أحتفظ بها في مكان أمين ولا أترك في الخارج إلا زجاجة واحدة هي التي أستعملها.

- هل افتقدتها منذ فترة وسألت عنها فيكتوريا؟

- نعم.

- وماذا قالت لك؟

- قالت إن آخِر مرّة رأتها فيها كانت على رفّ الحمّام في مقصورتنا، وقد وعدتني بالبحث عنها، ثم أتتني بها بعد فترة فسألتها: أين وجدتِها؟ فقالت: في حجرة الميجور العجوز. فلما أبديت دهشتي عن كيفية وصولها إلى هناك قالت: أنا لا أعرف... هذا ما قالته، ولكنني أشعر أنها تعرف أكثر ممّا قالت لي.

- ألم يكن لديها أي فكرة عمّن وضعها هناك؟

- لا أظن، ولا أستطيع أن أتذكّر.

ثم قدّم غريغوري لمفتّش المباحث ورقة دوّن فيها كيف أمضى هو وزوجته الليلة السابقة، الليلة التي قُتلت فيها فيكتوريا، من وقت تناول العشاء في الساعة التاسعة إلا عشر دقائق حتى عودتهما إلى النوم في نحو الحادية عشرة والنصف.

وبعد مغادرة غريغوري غرفة التحقيق علّق المفتّش بقوله: كان بُعْد نظر منه أن جعلنا نقف على تحرّكاته في الليلة الماضية.

ثم توقّف دافتري عند عبارة وردت في الورقة كان نصّها كالتالي: السيدة كيندال كانت تعيد ترتيب السكاكين على الموائد.

ثم تساءل قائلاً: هل كتب دايسون هذه النقطة عمداً؟

وفي تلك اللحظة تناهى إلى سمع الرجلين صوتُ رجل يصيح بشدّة قائلاً: أدخلوني إلى السيد فلديّ أشياء أريد أن أقولها.

وقبل السماح له بالدخول اندفع رجل في ملابس الطّهاة والفزعُ ظاهر على وجهه وهو يصيح قائلاً: لقد مرّت من طريق المطبخ وكانت تمسك في يدها سكيناً، ثم خرجت من باب المطبخ الخلفيّ إلى الحديقة.

فقال له دافنتري: اهدأ. عمّن تتكلّم؟

- أتكلّم عنها... لقد كانت تمسك في يدها سكيناً ثم خرجت إلى الظلام، وكان ذلك قبل العشاء، ولكنها لم ترجع.

* * *

الفصل الخامس عشر

التحقيق يستمرّ

كان تيم جالساً إلى مكتبه وقد علت وجهَه مسحةٌ من الكآبة والحزن عندما دخل عليه المفتّش ويستون وبرفقته السيد دافنتري، فسألهما قائلاً: كيف حال التحقيق؟ هل توصلتم إلى نتيجة؟ لقد أصابنا النحس والنزلاء يرغبون في الرحيل.

- سيد تيم، لقد أكّد أحد الطهاة أن زوجتك مرّت بالمطبخ قادمة من قاعة الطعام في طريقها إلى الحديقة وكانت تحمل سكّيناً.

فصاح تيم بدهشة قائلاً: موللي تحمل سكّيناً؟! وما المانع من ذلك؟ أقصد... ماذا تريدون أن تقولوا؟

- أنا أشير إلى الوقت. لقد كان ذلك قبل وصول النزلاء إلى قاعة الطعام، وأعتقد أن ذلك كان في نحو الثامنة والنصف، وأنت نفسك كنت في قاعة الطعام تتبادل الحديث مع رئيس الخدم، ثم جاءت زوجتك قادمة من الشرفة.

- أجل، من عادتها الخروج إلى الشرفة للإشراف على

ترتيب الموائد، ومن المحتمَل أنها وجدت سكّيناً أو ملعقة زائدة فحملتها في يدها.

- هل حدّثتك عندما عادت من الشرفة إلى قاعة الطعام؟

- نعم.

- وفيمَ تحدّثتما؟

- سألتها مع مَن كانت تتكلم فقالت إن السيد دايسون حاول مغازلتها، لكنها قالت إنها قادرة على إيقافه عند حده.

- ألا تستطيع أن تذكر لنا بالتحديد: هل كانت تحمل سكّيناً في يدها أم لا؟

- لا أستطيع أن أتذكّر، ولكنني واثق من أنها لم تفعل شيئاً. لقد جاءت من قاعة الطعام وكانت يداها خاليتين تماماً... أنا واثق من ذلك.

قال ويستون: فهمت.

فحملق تيم إلى وجه المفتّش وقد بدا عليه الاضطراب ثم قال: ما الذي ترمي إليه بالله عليك؟ ما الذي قاله ذلك الغبيّ اللعين؟! هل هو أتريكو أم مانويل؟

- قال إن زوجتك مرّت بالمطبخ وكان يبدو عليها الاضطراب، وإنها كانت تحمل سكّيناً في يدها.

- يا إلهي! إنه يحاول أن يجعل من الأمر مأساة.

- هل كانت زوجتك موجودة في قاعة الطعام في أثناء العشاء؟ وهل تبادلتما الحديث؟

- نعم، فهي تشرف على راحة النزلاء، ولكننا لم نتحدّث على الإطلاق.

- إذن أنت لم تحدّثها حتى اللحظة التي عادت فيها بعد ثلاث ساعات بعد أن عثرت على الجثّة، أليس كذلك؟

- بلى، لقد هزّتها الصدمة هزّة شديدة.

- أجل، فهي تجربة غير سارّة، ولكن كيف حدث أنها كانت تسير في الممرّ المؤدّي إلى الشاطئ؟

- لقد تعوّدت الخروج لاستنشاق الهواء بعد أن يخفّ ضغط العمل بعد العشاء.

- وعندما عادت كنت أنت تتحدّث مع السيدة هيلنغدون، فماذا كان موضوع الحديث بينكما؟

- لقد تحدّثنا عن موللي ومتاعب إدارة الفندق.

- ثم وصلت زوجتك وأخبرتك بما حدث وكانت يداها ملطّختين، أليس كذلك؟

- بلى، فقد أمسكت بالفتاة تريد أن ترفعها فتلطخت يداها. ولكن... ماذا تقصد بذلك؟!

قال دافنتري: أرجو أن تحافظ على هدوئك يا تيم، فنحن نقدّر وقع الصدمة عليك. لقد فهمت أن حالة زوجتك الصحية لم تكن على ما يُرام في الفترة الأخيرة، فهل هذا صحيح؟

- هذا هراء، إنها بخير. لقد أثّرت فيها وفاة الميجور فقط.

- نحن مضطرون إلى إلقاء الأسئلة عليها متى سمحت حالتها الصحية بذلك.

* * *

جلست إيفيلين أمام المفتّش الذي سألها قائلاً: لقد فهمت أن صحة السيدة كيندال لم تكن على ما يُرام في الفترة الأخيرة، فهل هذا صحيح؟

- لا، بل كانت تبدو في أحسن حال، ربما كانت تشعر ببعض الإجهاد من إدارتها للفندق فقط.

فأدرك ويستون أن إيفيلين امرأة ذكية فشكرها وصرفها. ثم ذهب المفتّشان إلى موللي لاستجوابها بعد أن ذكر لهما الدكتور غراهام أن حالتها الصحيّة تسمح بذلك.

قال ويستون: سيدة كيندال، هل تذكرين في أي ساعة خرجت لتلك النزهة؟

- لا أذكر؛ فأنا لا أتحرّك هنا في ساعات محدّدة.

- هل كانت الفرقة الموسيقية لا تزال تعزف؟

- أظن ذلك... الواقع أنني لا أذكر.

- في أي اتّجاه سِرت؟

- على طول طريق الشاطئ.

- هل كنت تفكّرين في شيء معيّن؟

- كنت أفكر في أعمال الفندق، ثم لاحظت شيئاً أبيض

بين الشجيرات فاتجهت نحوه وجذبته، فكانت هي فيكتوريا! وحاولت أن أرفع رأسها فتلوثت يداي بالدم.

ثم توقفت بُرهة وأخذت تنظر إلى الرجلين وكأنها تذكّرت شيئاً كان غائباً عنها، ثم قالت: دماء على يدي!

- لقد كانت تجربة فظيعة ولا داعي إلى الخوض في ذلك الآن. كم من الوقت قضيتِه قبل أن تعثري عليها؟

- لا أعرف.

- نصف ساعة أم ساعة أم أكثر من ساعة؟

- لا أعرف.

فسألها دافنتري برفق قائلاً: هل أخذت معك سكيناً عندما خرجت؟

- سكين؟! لماذا؟

- أحد عمّال المطبخ ذكر ذلك.

فقطبت موللي حاجبيها وقالت: ولكنني لم أخرج من المطبخ. آه، هل تقصد قبل العشاء؟ لا أظن ذلك.

- ربما كنت تعيدين ترتيب أدوات المائدة. هل فعلت ذلك؟

- أنا أفعل ذلك عادة، وقد ينقص سكّين أو يزيد.

- وهل حدث شيء من ذلك في ذلك المساء بالذات؟

- ربما.

- هل من المحتمَل أن تكوني قد خرجت من المطبخ في ذلك المساء وأنت تحملين سكيناً في يدك؟

- لا أظن أن ذلك قد حدث، بل أنا واثقة من أنه لم يحدث. لقد كان تيم هناك ولا بد أنه يعرف، فسله عن ذلك.

فسألها ويستون قائلاً: هل كنت تحبّين فيكتوريا؟

- نعم، فقد كانت فتاة لطيفة.

- ألم يحدث بينكما شجار؟

- بالطبع لم يحدث شيء من هذا.

- ألم تهدّدك مطلقاً بأي طريقة؟

- تهددني؟ ماذا تعني؟

- لا يهمّ. هل يمكن أن تخمّني مَن يكون القاتل؟

- مع الأسف أنا لا أعرف.

- حسناً، شكراً لك يا سيدة كيندال، وآمل في أن لا نكون قد أتعبناك.

* * *

بعد انصراف السيدة كيندال علّق دافنتري على قولها "إن تيم كان هناك ولا بدّ أنه يعرف" بقوله: ولكن تيم يقول إنه واثق من أنها لم تكن تحمل سكّيناً، ثم إن سكّين المائدة ليس سلاحاً ملائماً لارتكاب جريمة قتل.

فردّ ويستون قائلاً: ربما خرجت إلى الحديقة قبل العشاء

ومعها سكّين زائد، ولم تكن تدرك أنها تحمل سكّيناً فسقط منها أو وضعته في مكان فعثر عليه شخص فاستخدمه في ارتكاب الجريمة. أنا أشاركك الرأي بأنها ليست قاتلة.

- أنا أكاد أكون واثقاً من أنها لم تذكر لنا كل ما تعرفه، فأين كانت؟ وماذا كانت تفعل في ذلك المكان؟ لم يشاهدها أحد في قاعة الطعام في ذلك المساء.

- لقد كان الزوج موجوداً أما الزوجة فلا!

- هل تظن أنها خرجت لتقابل شخصاً ما، فيكتوريا مثلاً؟

- أو ربما قابلت الشخص الذي ذهب لمقابلة فيكتوريا.

- هل تظنّه غريغوري دايسون؟

- لقد كان يتحدّث إلى فيكتوريا قبل الحادث، وربما اتفق معها على لقاء فيما بعد، ولكن لا تنسَ أن حركة النزلاء في الشرفة كانت مستمرّة.

فقال دافنتري بضيق: لا يوجد مَن يستطيع أن يقدّم لنا دليل نفي مُحكَماً!

* * *

الفصل السادس عشر

الآنسة ماربل تطلب المساعدة

مَن رأى الآنسة ماربل وهي واقفة في شرفتها غارقة في تفكيرها ظن أنها تفكّر في تخطيط برنامجها لنزهتها اليومية، في حين أنها كانت تفكّر في أبعد من ذلك. لقد كانت تفكّر في محاربة الشرّ وأنه لا بدّ من عمل شيء لأن الوقت ضيق والسرعة واجبة، ولكن مَن الذي تستطيع أن تُقنعه بهذه الحقيقة؟ لقد كشفت عن كثير من الغموض الذي يكتنف الأحداث الجارية في الجزيرة، ولكن ما كشفته لم يكن كافياً، وهي لا تجد أحداً من حلفائها الذين تركتهم في إنكلترا.

أين السير هنري كليذرنغ الذي كان يصغي إليها بصبر وأناة دائماً؟ وأين ديرمونت الذي كانت تعتبره ابناً لها، رغم مركزه الرفيع في اسكتلنديارد، والذي كان يعتقد بأن أي رأي تُبديه الآنسة ماربل لا بدّ أن يكون وراءه شيء من الحقيقة؟ أما ذلك المفتّش الذي يعمل هنا فلا تظن أنه على استعداد للاهتمام بما تُبديه امرأة عجوز، كما أن الدكتور غراهام ليس بالرجل الذي يستطيع أن يتّخذ قرارات أو إجراءات سريعة، فهو بالغ الرقّة

بادي التردّد.

كانت الآنسة ماربل مستغرقة في تفكيرها ولم يخرجها من ذلك الاستغراق إلا صوت السيد رافيل الذي قال صائحاً: أنت هناك؟!

ورغم مجافاة الكلمتين السابقتين للذوق السليم في النداء فلم تشعر بذلك نحوه؛ فالسيد رافيل كان قانوناً قائماً بذاته وكان الجميع يتقبّلونه على هذا الأساس، لذلك نظرت إليه وهو جالس في مقصورته وسألته قائلة: هل كنت تناديني؟

- بالطبع كنت أناديك، فمَن تظنين أنني كنت أناديها؟ قطة؟ تعالي هنا.

التقطت الآنسة ماربل كيس غزلها وعبرت المسافة التي تفصل بين المقصورتين، فاستطرد هو قائلاً: أنا لا أستطيع أن أذهب إليك ما لم يساعدني أحد، لذلك كان عليك أن تحضري إليّ.

- أنا أدرك ذلك تماماً.

- اجلسي، فأنا أريد أن أتحدّث إليك. يوجد شيء غريب يجري على هذه الجزيرة.

- أجل، فعلاً.

وكعادتها أخرجت غزلها من الكيس، فقال لها: كفّي عن هذا الغزل، فأنا أكره النساء اللاتي يغزلن؛ إنهن يثِرن أعصابي.

ففعلت ما أمرها به متجاوزة عن سوء سلوك شخص

مريض، واستطرد قائلاً: إن ثرثرة واسعة النطاق تجري هنا، وأراهن على أنك في الصف الأول بين محرّكيها... أنت والسيد كانون وشقيقته.

- من الطبيعي أن تدور الثرثرة في مثل الظروف التي نحن فيها.

- تلك الفتاة التي قُتلت ووجدوها بين الشجيرات... قد يكون الأمر عادياً لأنه من المحتمل أن تكون غيرة زوجها هي التي دفعته إلى قتلها. ما رأيك؟

- أنا لا أرى هذا الرأي.

- والسلطات لا ترى ذلك أيضاً.

- من الواضح أنهم يفضون إليك بأكثر مما يفضون به إليّ.

- ومع ذلك فأنا أراهن على أنك تعرفين من الموضوع أكثر ممّا أعرف؛ فقد كنت تصغين إلى تلك الثرثرة.

- بالطبع كنت أُصغي إليها.

- أليس لديك شيء أفضل من ذلك تفعلينه؟

- في مثل هذه الأحوال فإن الإصغاء إلى الثرثرة من أنجح الوسائل لجمع المعلومات.

دقّق السيد رافيل النظر إليها متأملاً ثم قال: أتعرفين؟ لقد أخطأت في الحكم عليك، رغم أنني لا أُخطئ في الحكم على الناس عادة! أنت تُخفين أكثر ممّا يبدو عليك، فمثلاً خذي تلك

الإشاعات حول الميجور بالغريف والقصص التي كان يرويها... أنت تظنين أنه قُتل، أليس كذلك؟

- أخشى أن يكون الأمر كذلك.

- حسناً، هو كذلك.

فشهقت الآنسة ماربل وقالت: هل هذا صحيح؟

- نعم، لقد أصبح مؤكّداً، وقد علمت ذلك من دافنتري، وأنا لا أذيع سراً لأن نتيجة التشريح سوف تُعلَن. لقد قلتِ شيئاً ما لغراهام فذهب إلى دافنتري، ودافنتري ذهب إلى عمدة المدينة الذي أبلغ الأمر إلى إدارة المباحث، وقد اتّفقَت آراؤهم على أن الأمر مُحاط بالشك فقرّروا استخرج الجثّة وتشريحها.

- وماذا وجدوا؟

- وجدوا كميّة من مادة سامة لا يستطيع سوى الطبيب نُطق اسمها الصحيح، ويبدو أن طبيب الشرطة قد أخفى اسم السمّ حتى لا يعرف أحدٌ حقيقةَ السمّ الذي تناوله الميجور. المهم أن الكميّة التي وُجدت في الجثّة كانت قاتلة، كما أن أعراض التسمّم بهذه المادة لا تختلف كثيراً عن أعراض ارتفاع ضغط الدم في حالة الإفراط في التدخين. بالمناسبة، ألم يتحدّث إليك الميجور في هذا الشأن؟

- نعم، لم يتحدّث.

- بالطبع، ومع ذلك فإن الجميع كانوا يعتقدون ذلك.

- من الواضح أنه أخبر شخصاً ما بأنه يشكو من تلك العلّة.

- إن الظن بأنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم سببه وجود زجاجة في حجرته فيها أقراص خاصة بعلاج هذا المرض.

- السيد دايسون يشكو من ارتفاع ضغط الدم... زوجته تقول ذلك.

- ولهذا وُضعت الزجاجة في حجرة الميجور للإيهام بأنه كان يشكو من هذا المرض، وبذلك تبدو وفاته طبيعية.

- تماماً، وقد تمّ ترويج الإشاعة بمهارة فائقة.

- أنا لا أستبعد ذلك.

- الأمر لا يتطلّب أكثر من همسة هنا وهمسة هناك، وهكذا يستمرّ تداول القصّة دون معرفة مصدرها الأصلي.

- أعتقد أن بعضهم كان ماهراً جداً!

- لا بدّ أن الفتاة شاهدت شيئاً وحاولت استغلاله في الابتزاز.

- وربما لم تفكر في الأمر على أنه ابتزاز، فكثيراً ما يحدث أن يعرف الخادم أو الخادمة أشياء لا يجب أن يعرفها الناس فيجزل لهم البعض العطاء أو يقدّم هدية، ومن المحتمل أنها لم تكن تدرك أهمية ما كانت تعرفه.

فقال السيد رافيل وقد اكتسب صوته خشونة: ما نالته كان طعنة في ظهرها!

- من الواضح أن شخصاً ما كان يريد أن يمنعها من الكلام.

- حسناً، أريد أن أسمع رأيك في الموضوع.

ففكّرت الآنسة ماربل قبل أن تجيب قائلة: وما الذي يجعلك تظنّ أنني أعرف أكثر ممّا تعرف أنت يا سيد رافيل؟

- قد لا تعرفين، ولكن يهمّني أن أعرف رأيك فيما تعرفين؟

- ولكن، ما السبب؟

- ليس لديّ الكثير مما أشغل به وقتي هنا سوى كسب المال.

بدت الدهشة على وجه الآنسة ماربل وقالت: تكسب مالاً هنا؟!

- نعم، أستطيع أن أبعث ببعض البرقيّات كل يوم، وهي طريقة التسلية الوحيدة أمامي.

فعادت الآنسة ماربل تسأله وهي لا تكاد تصدّق أذنيها قائلة: هل تشترك في مضاربات في البورصة؟

- شيء من هذا القبيل، ولكنني أراها وسيلة طريفة للمنافسة. بالغريف كان يقضي معظم وقته في الحديث إليك ولم يكن يهتمّ به من بين النزلاء سواك، والآن أخبريني، ماذا قال لك؟

- لقد قصّ عليّ عدداً غير قليل من القصص.

- أعرف ذلك، بل وأعرف أن معظمها كان يبعث على الملل.

- معك حق، وأخشى أن هذا هو ما يحدث عندما يتقدّم الرجال في السن.

نظر إليها السيد رافيل بحدّة ثم قال: ولكنني لا أحكي قصصاً، وإن كان كل ما حدث على الجزيرة مؤخّراً كانت بدايته إحدى قصص بالغريف.

- لقد قال إنه يعرف قاتلاً، وهي عبارة لا تعني شيئاً كما ترى.

- لم يكن الميجور جاداً.

- بل كان رجلاً جاداً، وأعتقد أنه كان يتلذّذ برواية القصّة، فكان يكسبها طلاوة بالإشارة إلى صورة القاتل بطل قصّته التي كان يحملها في محفظته. لقد كان على وشك أن يطلعني عليها ولكنه لم يتمكّن.

- لماذا؟

- لأنه رأى شيئاً أو رأى شخصاً... المهم أن وجهه احتُقن فجأة وأسرع بإعادة الصورة إلى محفظته، ثم أخذ يتحدّث في موضوع آخَر.

- هل تعرفين ذلك الشيء أو الشخص الذي رآه؟

- لا، لقد كنت أجلس أمام مقصورتي وكان هو يجلس في مواجهتي، وما رآه كان خلف كتفي الأيمن.

- هذا يشير إلى الممرّ الذي يصل إلى الخليج الصغير وحظيرة السيارات.

- تماماً.

- ومَن الذي كان قادماً من ذلك الممرّ؟

- دايسون وزوجته وهيلنغدون وزوجته، كما أن مقصورتك تقع في هذا الاتجاه أيضاً.

- آه، ونضيف إلى الأربعة إستر وجاكسون لأن كلاً منهما كان يمكن أن يخرج من المقصورة ويعود إليها دون أن تشاهديه.

- هذا ممكن، فأنا لم ألتفت خلفي فوراً.

- هل حدّثك عن القاتل على أنه رجل؟

- نعم.

- إذن نستبعد النساء ثلاث، ويبقى الرجال الثلاثة.

- وأنت أيضاً.

ولكن السيد رافيل تجاهل هذه الملاحظة وقال: لا تحاولي إثارتي. إذا كان القاتل أحد هؤلاء الثلاثة فلماذا لم يتعرّف عليه بالغريف من قبل؟ هذا غير معقول!

- بل أراه معقولاً.

- أوضحي.

- أعتقد أنه احتفظ بالصورة على سبيل التذكار ولم يدقّق النظر إليها، وحينما كان يروي لي القصّة أخرج الصورة وأخذ يتأمّلها قبل أن يعطيها لي، ثم رفع رأسه فإذا به يرى أمامه نفس

الوجه أو وجهاً شبيهاً به قادماً نحوه من على بعد ثلاثة أمتار أو أربعة.

وكان الاهتمام بادياً على وجه السيد رافيل فقال: أجل، هذا مُحتمَل.

- وقد أذهلته المفاجأة فأسرع بإعادة الصورة إلى المحفظة وأخذ يتحدّث بصوت عال في موضوعات أخرى.

- هل كان حديثه معك بصوت عال؟

- نعم، لقد كان يتحدّث بصوت عال دائماً.

- إذن فالشخص الذي كان يقترب منكما قد سمع ما كان يقوله؟

- لقد كان صوته كفيلاً بأن يُسمع مَن على مسافة ليست بالقريبة.

- لو كان ذلك الشخص هو صاحب الصورة فعلاً لاستطاع أن يستخفّ بمثل هذا الاتهام ويقول: نعم، أنا أجد شبهاً كبيراً بيني وبين صاحب هذه الصورة.

- وهذا ما حيّرني، حتى إنني لم أستطِع النوم الليلة الماضية.

- أخبريني بما يدور في خلدك.

- أخشى أن أكون مخطئة.

- هذا محتمل، ولكن أخبريني بما يدور في رأسك.

- أرى أن جريمة قتل توشك أن تقع ويجب علينا أن نمنع وقوعها.

- لقد أبدعت في رسم الصورة!

- سيد رافيل، لقد اطمأن الرجل إلى أن الميجور لم يَعُد باستطاعته الكلام وأن الصورة التي يخشاها قد أُعدمت، وبذلك لم يَعُد يوجد ما يحول دون تنفيذ جريمته كما خطّط لها. وأنت بالذات مَن يستطيع أن يمنع وقوعها لأنك واسع الثراء ولك مركزك الاجتماعي الهام. إن الناس سيهتمون بما تقول، أما لو تكلمت أنا فلن يصغوا إلى كلمة واحدة ممّا أقول.

* * *

الفصل السابع عشر

السيد رافيل يتولى الزمام

قالت الآنسة ماربل وهي تستجمع أفكارها: ما يحيّرني هو احتمال وجود ثغرة ولو ضئيلة بين اللحظة التي كان فيها الميجور يحدّثني عن القاتل واللحظة التي كان يُخرج فيها محفظته ويقول لي: والآن، هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل؟

فردّ عليها السيد رافيل قائلاً: ولكنك ظننت أن الصورة للرجل الذي كان يتحدّث عنه.

- لقد خطر لي أن لا تكون كذلك.

- عيبك أنك شديدة الأمانة مع نفسك.

- قد تكون على صواب.

- أعتقد أن تسعين في المئة من الحالات تكون الانطباعات فيها سليمة. والآن نستطيع أن نحصر شبهاتنا في ثلاثة أشخاص، فدعينا نتدارسهم معاً.

- احتمال أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة مجرماً يبدو لي بعيداً.

- ومع ذلك لنناقش غريغوري أولاً، توجد قرينة أو اثنتان ضده؛ فأقراص السيرينايت تخصّه، وذلك يتيح له فرصة سهلة لاستخدامها.

فقالت الآنسة ماربل معترضة: ذلك يجعل المحاولة شديدة الوضوح.

- لننتقل إلى هيلنغدون، فهو شخصية غامضة.

- قد يكون سبب ذلك أنه ليس سعيداً في حياته.

- وهل لا بدّ أن يكون القاتل سعيداً؟

سعلت الآنسة ماربل وقالت: هذا ما بدا لي فعلاً خلال تجارِبي السابقة.

فاستطرد السيد رافيل قائلاً: أنا شخصياً أميل إلى ترجيح كفّة هيلنغدون لأنه توجد أمور غير عادية تجري بينه وبين زوجته. ألم تلاحظي شيئاً من ذلك؟

فهزّت الآنسة ماربل رأسها ببطء وهي غير مقتنعة ثم قالت: لا أستطيع التغلّب على ما يخالجني من شعور بأن المسألة لا يمكن أن تكون بهذه البساطة.

- ليكن. مَن المرشّح التالي؟ جاكسون؟ دعيني أنا خارج الموضوع.

فابتسمت الآنسة ماربل لأول مرّة وقالت: ولماذا نستبعدك يا سيد رافيل؟

- هل ترينني كفئاً لمثل هذه المهمّة وأنا لا حول لي ولا

قوة ولا أستطيع التنقّل إلا بهذا المقعد ذي العجلات ومستنداً إلى شخص، فكيف أرتكب جريمة قتل؟!

- ذكاؤك كفيل بأن يجعلك تتغلّب على الصعاب البدنيّة التي تحول بينك وبين ارتكابك جريمة قتل.

- إن لك جرأة بالغة تبعدك عن تلك الشخصية العجوز المنطوية! هل تظنين أنني قاتل حقاً؟

- لا.

- ولِمَ لا؟

- لأنك تستطيع الحصول على كل ما تريد دون اللجوء إلى القتل، كما أن القتل دليل على الغباء.

- والآن دعينا ننتقل إلى جاكسون. ما رأيك فيه؟

- أنا لم أتبادل الحديث معه.

- إنه أبعدُ ما يكون عن الكفاءة، ولكنه يلائمني؛ فهو لا يعترض على الإهانات التي أوجّهها إليه لأنه يتقاضى راتباً لم يكن يتخيّله، وقد يكون ماكراً، ولكنني لا أستطيع أن أتخيله قاتلاً؛ فهو لا يصلح لهذا العمل. ألا تظنين أنني أصلح المرشحين لدور الضحية؟

- هذا يتوقّف على معرفة المستفيد من موتك.

- لا أحد غير المنافسين لي في مجال الأعمال.

- وماذا عن جاكسون؟ ألا يستفيد؟

– لن يستفيد لأنه لن يحصل على بنس واحد بعد وفاتي، فأنا أدفع له ضعف راتبه ولذلك يتقبّل نزواتي، وسيخسر الكثير بموتي.

– وماذا عن السيدة والترز؟

– لها نفس الوضع؛ لقد مضى عليها معي خمس سنوات، وقد أوضحت لها أن لا تتوقع منّي أية هبة بعد وفاتي، على أن يزيد راتبها الذي بدأت به بمقدار الربع سنوياً طوال حياتي، وفضلاً عن ذلك فقد تعهّدت لها بتغطية جميع المصروفات المدرسية الخاصة بابنتها، كما جعلت لها مبلغاً لا بأس به تحصل عليه بمجرّد إتمام دراستها. إذن فإن وفاتي ستسبّب لها خسارة مالية كبيرة، وهي من التعقّل بحيث تدرك ذلك تماماً.

* * *

عادت السيدة والترز من مكتب تلقّي البرقيات بعد أن أرسلت البرقيات التي كلّفها السيد رافيل بإرسالها، وانضمت إليهما في الحديث عن قصص القتل التي كان يحكيها الميجور بالغريف، فسألها السيد رافيل قائلاً: أخبريني يا إستر، هل سبق أن روى لك الميجور قصّة تتعلق بقاتل؟

– نعم، وأكثر من مرّة.

– وما هي القصّة؟ دعينا نختبر قوّة ذاكرتك.

– الواقع أنني لم أكن أصغي إليه باهتمام، فقد كانت تشبه تلك القصّة التي كان لا يزال يردّدها عن الأسد الذي اصطاده في روديسيا. لقد كان يكرّرها مراراً وتكراراً حتى تعوّدنا على عدم

الإصغاء إليه بالدرجة الكافية.

- لا بأس، أخبرينا بما تذكرينه منها.

- أظن أنها كانت بمناسبة ما نشرته الصحف عن إحدى جرائم القتل، وقد علّق عليها الميجور بقوله إنه التقى بمجرم قاتل وجهاً لوجه.

فصاح السيد رافيل قائلاً: التقى به؟! هل ذكر لك هذه العبارة بالذات؟

فتردّدت إستر وهي تقول: أظن ذلك، أو لعله قال: باستطاعتي أن أُريك قاتلاً.

- حسناً، أي العبارتين قالها بالتحديد؟ يوجد فرق كبير بينهما كما ترين.

- الواقع أنني لا أستطيع أن أجزم، أظن أنه قال إن باستطاعته أن يُطلعني على صورة شخص ما.

- هذا أفضل، استمرّي.

- لقد تحدّث عن القتلة الذين يستخدمون السمّ واعتبره سلاح المرأة المفضّل.

- من الواضح أنه كان يتخبّط في حديثه! وماذا كان بشأن الصورة التي كان يريد إطلاعك عليها؟

- لا أذكر تماماً، ربما كانت صورة رآها في إحدى الصحف.

- ألم يطلعك على صورة كانت معه؟

– لم يطلعني على شيء، أنا واثقة من ذلك، ولكنه قال: لقد كانت امرأة جميلة ولم يخطر ببالي حين رأيتها أن تكون قاتلة.

– إذن فقد كانت امرأة!

فصاحت الآنسة ماربل: هل سمعت؟ إن كل شيء يبدو مشوشاً.

فوجّه السيد رافيل كلامه إلى إستر قائلاً: هل كان يتحدّث عن امرأة؟

– نعم.

– وهل كانت الصورة صورة امرأة؟

– أجل.

– هذا مستحيل!

فقالت إستر بإصرار: إطلاقاً. لقد قال إنها هنا في هذه الجزيرة.

توقّف السيد رافيل قليلاً ثم التفت نحو إستر وقال: لقد قلتِ إنك لم تكوني مصغية إليه، وربما أسأت فهم ما كان يقوله.

– بل أنا متأكّدة من أنه كان يتحدّث عن امرأة لأن الفضول تملّكني لمعرفة مَن تكون.

وهنا تحول السيد رافيل بالهجوم إلى الآنسة ماربل فقال: ولكنك قلت إنه كان يتحدّث إليك عن قاتل وأوشك أن يطلعك على صورته!

- أجل، هذا ما ظننته.

- ظننته؟ لقد كنت تبدين واثقة كل الثقة!

فأجابته الآنسة ماربل بحماسة قائلة: ليس من السهل إطلاقاً تكرار حديث بحروفه، وكي أكون أمينة فإن ما قاله الميجور حرفياً هو: «هل تحبّين أن تشاهدي صورة قاتل طليق؟» وبالطبع فقد افترضت أنها لنفس الشخص الذي كان يتحدّث عنه.

فصاح السيد رافيل قائلاً: يا للنساء! لا يستطيع الإنسان أن يحصل منكن على نتيجة حاسمة.

وأخذ يلوّح بيده بيأس ثم استطرد قائلاً: إلى أين وصلنا؟ إيفيلين أم لاكي؟

وهنا تناهى إلى سمع المجتمعين صوت سعال خفيف، وإذا بجاكسون يقف إلى جوار السيد رافيل قائلاً: لقد حان موعد جلسة التدليك يا سيد رافيل.

ثم أدار مقعد مخدومه نحو المقصورة دون انتظار موافقته، أما الآنسة ماربل فقد نهضت من مقعدها وابتسمت لإستر محيّية واتجهت نحو الشاطئ.

* * *

الفصل الثامن عشر

ثرثرة بين عانسين

كان الشاطئ في ذلك الصباح يكاد يخلو من روّاده. كان غريغوري يلهو في الماء بطريقته الصاخبة ولاكي مستلقية على وجهها فوق الرمال، وكانت السيدة دي كاسبيرو هناك تحيط بها المجموعة المعتادة من المعجبين، أما الزوجان هيلنغدون فلم يكونا هناك.

وقد جلس السيد كانون وشقيقته يتأمّلان المناظر حولهما، فجلست الآنسة ماربل بجوارهما، ثم دار حديث بينهما عن مقتل فيكتوريا وأثره على روّاد الفندق وأثر ذلك على فشل مشروع تيم ومولّلي الاستثماري، ثم تشعّب الحديث إلى ظروف مولّلي الصحية والنفسية والعوامل المحيطة بمولّلي وأُسرتها وعن أن ما تعانيه مولّلي من أعراض نفسية يمت بصلة إلى أُسرتها التي انتشر بين بعض أفرادها مظاهر الجنون النادرة الحدوث.

ثم قرّرت الآنسة ماربل استدراج الشقيقين برفق إلى الموضوع الهام الذي كان يشغل تفكيرها فقالت: أعتقد أنكما تعرفان هذا المكان خير المعرفة؟

- لقد جئنا إلى هنا العام الماضي، وقبل ذلك بسنتين أيضاً.

- إذن أنتما تعرفان الزوجين هيلنغدون والزوجين دايسون معرفة جيدة، أليس كذلك؟

- بلى، نعرفهما معرفة جيدة.

- لقد روى لي الميجور قصّة عجيبة، ومن الواضح أنه كان يحاول أن يلمّح إلى...

فقالت الآنسة بريسكوت: فهمت قصدك. لقد كَثُر اللغط حول هذا الموضوع في حينه؛ عندما تُوفّيت السيدة دايسون الأولى لم تكن وفاتها متوقّعة لأنها لم تكن مريضة إلا بالوهم، وعندما أصابتها النوبة وماتت هكذا فجأة أخذ الناس يتكلّمون.

- وهل حدثت مشكلات في ذلك الوقت؟

- كان الطبيب يشعر بالحيرة لأنه كان حديث العهد بمهنة الطب وخبرته ليست كافية للبتّ في الأمور بحزم. ولم يكن لدينا شك في أنها ماتت ميتة غير طبيعية، وإن كان ذلك لا يمنع الإنسان من الشعور بالعجب، أضيفي إلى ذلك ما كان يثرثر به بعض الناس.

فأجابتها الآنسة ماربل وهي تستحثّها على الاستمرار قائلة: حقاً؟

- تلك الشابة كانت تمتّ بصلة قرابة إلى زوجة السيد دايسون الأولى وكانت تُعنى بها وتشرف على تمريضها، وبالطبع نشأت علاقة وثيقة بينها وبين الزوج غريغوري دايسون حتى

لاحظ كثير من جيرانهم ذلك، ثم كانت تلك القصّة الغريبة عن بعض العقاقير التي اشتراها الكولونيل هيلنغدون من الصيدلي.

- آه! إذن فإن هيلنغدون متورّط في الموضوع؟

- نعم، لقد كان شغوفاً جداً بالآنسة لاكي، وقد استغلّت ذلك الموقف لتوقع بين الرجلين، هيلنغدون ودايسون.

- وكيف عرف الناس قصّة الصيدلية؟

- أظن أن هذا قد حدث عندما كانوا في جزيرة المارتنيك، فقد ذكر الصيدلي أن الكولونيل هيلنغدون طلب منه عقاراً قرأ اسمه من قصاصة، وكما ذكرت لك بدأ الناس يثرثرون.

- ولكنني لا أفهم لماذا يُقدِم الكولونيل على...

- إنه لم يكن أكثر من مخلب قِطّ، ومع ذلك فإن دايسون تزوّج لاكي ولم يكن قد مضى على وفاة زوجته الأولى أكثر من شهر واحد كما سمعت.

- ألم يُثِر ذلك أي شكّ حقيقي؟

- لم يتعدّ الأمر مجرّد الكلام، ولكن لا يُستبعَد أن يكون في الأمر شيء.

- ولكن الميجور كان يظنّ عكس ذلك.

- هل هو الذي قال لك ذلك؟

- لم أكن مصغية إليه بانتباه. ألم يذكر لك نفس الشيء؟

- بلى، لقد أشار إليها ذات مرّة.

- لقد ظننت أنه يشير إلى السيدة هيلنغدون في أول الأمر. هل ذكر لك شيئاً عن صورة فوتوغرافية؟

- لا أذكر أنه فعل ذلك.

وفجأة حيّتهما السيدة هيلنغدون فتبادلن بعض الأحاديث، ثم واصلت سيرها نحو الشاطئ.

* * *

الفصل التاسع عشر

حذاء مفيد

عاد السيد كانون وشقيقته إلى الفندق بحجّة حرارة الجو وبقيت الآنسة ماربل وحدها، وكانت تلك هي فرصتها الوحيدة للحديث مع السيدة دي كاسبيرو، ولكنها شعرت بالحيرة لأنها لم تعرف كيف تبدأ وأي موضوع تختار. ثم جازفت وسألتها قائلة: هل لديك أطفال يا سيدة دي كاسبيرو؟

فأجابتها وهي تقبّل أطراف أناملها قائلة: نعم، إن لدي ثلاثة أطفال رائعين.

وبعد أن تبادلت السيدة بعض الأحاديث مع بعض معجبيها باللغة الأسبانية التي لم تكن تتقنها الآنسة ماربل استطردت قائلة: هذا أمر مخجل! ألا يسمح لنا رجال الشرطة بمغادرة الجزيرة؟ إن النحس يلازم هذا المكان. لقد كانت نظرات ذلك الميجور العجوز ذي الوجه الدميم تجلب النحس، حتى لقد كنت أستعيذ بالله كلما وجدته ينظر إليّ، ولو أن الحوَل الشديد الذي كان في عينيه لم يمكنّي من التأكّد من أنه ينظر نحوي.

فوضّحت الآنسة ماربل الأمر قائلة: لقد كانت إحدى عينيه من الزجاج نتيجة حادث لا ذنب له فيه.

- ولكنه كان يجلب النحس وكانت له عين شريرة... على كل حال لقد مات.

ثم عادت السيدة إلى الحديث بالأسبانية، وبدأت الآنسة ماربل تنظر نحو الشاطئ حيث شاهدت دايسون يخرج من الماء، أما لاكي فقد تقلّبت في وضعها على الرمال، وكانت إيفيلين تجلس بالقرب منها وتنظر إليها بطريقة بغيضة، وأخيراً نهضت الآنسة ماربل واتّجهت إلى مقصورتها، فقابلها السيد رافيل معتمداً على ذراع إستر والترز في طريقهما إلى الشاطئ.

وفي أثناء استرخائها في فراشها شاعرة بوطأة السن والتعب والقلق معاً غلبها النعاس وأخذت تحلم، ولكن الخيال لم يكن حلماً. لقد رأت خيالاً على زجاج النافذة فعلاً وكأن أحداً يحاول أن يطلّ عليها من الخارج... لا بدّ وأنه جاكسون! إن هذا العمل وقاحة لا حدّ لها، ولكن ما الذي يدعو جاكسون إلى التلصّص عليها وهي نائمة في فراشها؟! هل كان يريد التأكّد من أنها بالداخل فقط أم أنها بالداخل ونائمة؟

فأسرعت إلى الحمّام ونظرت بحرص من خلال نافذته، فرأت جاكسون يقف أمام باب مقصورة السيد رافيل يلقي نظرة خاطفة حوله ثم تسلّل بسرعة إلى الداخل.

وبدا الأمر غريباً للآنسة ماربل. لماذا يتلفّت حوله بهذه الطريقة؟! لا أحد يجد غرابة في دخوله مقصورة مخدومه لأنه يدخل ويخرج أكثر من مرّة طوال اليوم، إذن لا يوجد سوى سبب واحد، وهو أنه يريد أن يتأكّد من أن أحداً لا يراه. ولكن جاكسون سيعود إلى الشاطئ ليساعد مخدومه على أخذ حمّام

البحر بعد ثلث ساعة. لقد تأكّد من أنه لا يوجد أحد بالقرب من المكان يمكن أن يراقب حركاته، إذن يجب أن لا تتوانى هي في مراقبة تلك الحركات، فماذا تفعل؟

قامت فلبست حذاء كان كعب إحدى فردتيه يوشك أن ينخلع من مكانه، فأخذت مبرد أظافر وخلعت الكعب، ثم حملت الحذاء في يدها وخرجت إلى الشرفة حافية القدمين، ثم دارت حول مقصورة السيد رافيل حتى اقتربت من نافذتها الخلفية ولبست فردة الحذاء السليمة وأبقت الأخرى في يدها بعد أن خلعت الكعب تماماً، فإذا رآها جاكسون أدرك أنها تعثرت في سيرها مما أدّى إلى انتزاع كعب الحذاء وسقوطها تحت النافذة، ولكن اتّضح أن جاكسون لم ينتبه إلى شيء من ذلك.

وأخذت الآنسة ماربل تنظر داخل الحجرة بعد أن أخفت رأسها خلف بعض النباتات المتسلّقة، فرأت جاكسون راكعاً أمام حقيبة كبيرة منهمكاً في فحص أوراق، وأحياناً يتناول أظرفاً فينظر إلى ما بداخلها ثم يعيدها إلى مكانها. لقد تأكّدت من أن آرثر جاكسون له مواهب أخرى غير ما يتظاهر به.

وبنفس الهدوء والحذر اللذين اتبعتهما في المجيء تمكّنت من التسلل خلال حوض الزهور الممتد خلف المقصورة حتى وصلت إلى مقصورتها، ثم ذهبت إلى الشاطئ وترقّبت فرصة نزول إستر إلى الماء وأخبرت السيد رافيل الذي لم يُدهَش لأن جاكسون لن يعثر في تلك الحقيبة على شيء له أهمية، ثم نصح الآنسة ماربل بأن لا تورّط نفسها في تحرّياتها حتى لا تكون الضحية القادمة.

* * *

الفصل العشرون

الطارئ الليلي

رغم أن أضواء الفندق كانت متلألئة والروّاد يتناولون العشاء ويتبادلون الأحاديث والضحكات إلا أن الجو كان أقلّ صخباً ومرحاً، وسرعان ما تسلّل الرواد إلى حجراتهم وأُطفئت الأنوار وساد السكون. ولكن إيفيلين ما لبثت انتصبت في فراشها على صوت تيم الحاد يناديها برجاء أن تأتي معه لأن موللي ليست على ما يُرام.

كانت موللي راقدة في فراشها مغمضة العينين وصدرها يعلو ويهبط في غير انتظام، ففحصت إيفيلين المائدة الصغيرة المجاورة لفراشها وما عليها من زجاجات ومن بينها زجاجة أقراص فارغة، وقال تيم: هذه زجاجة الأقراص المنومة، وقد ابتلعت كل ما كان فيها.

فصاحت إيفيلين قائلة: علينا بالطبيب! واطلب من العمّال إحضار قدر كبير من القهوة الساخنة.

اصطدم تيم في أثناء خروجه من باب الحجرة بهيلنغدون الذي جاء ليعرف ما يحدث. قال هيلنغدون: يجب علينا أن

نفعل شيئاً، وإن كان من الأفضل انتظار الدكتور غراهام. ها هو قادم.

* * *

ابتعد الدكتور غراهام عن الفراش وأخذ يجفّف العرق الذي تصبّب من جبهته، ثم زفر زفرة عميقة وقال: هذا يكفي الآن.

فسأله تيم بقلق قائلاً: هل تظن أنها ستنجو يا سيدي؟

- أجل، أجل. لقد أدركناها في الوقت المناسب، ويحتمل أن كمية الأقراص التي ابتلعتها لم تكن قاتلة.

وصمت بُرهة ثم استطرد قائلاً: مَن الذي وصف لها هذه الأقراص؟

- طبيب في نيويورك؛ فقد كانت تشكو من الأرق كثيراً.

- أعرف أن كثيراً من الأطباء يصفون هذه الأقراص بسخاء.

وكانت موللي قد بدأت تتحرّك، ثم فتحت عينيها ونظرت إلى المحيطين بها دون اهتمام ودون أن تعرف أحدًا منهم، فتناول الدكتور غراهام يدها وقال: مرحى، مرحى يا عزيزتي! ماذا كنت تحاولين أن تفعلي بنفسك؟!

فحرّكت موللي أهدابها ولم تُجِب، فقال تيم وهو يمسك بيدها الأخرى: لماذا فعلت ذلك يا موللي؟

ولكن عيني موللي استقرّتا على إيفيلين، وكانت نظراتها توحي بالتساؤل فأدركت إيفيلين ما ترمي إليه موللي وقالت:

لقد جاء تيم وأيقظني.

ثم تحوّلت بنظرها إلى الدكتور غراهام فقال: ستكونين بخير يا ابنتي، ولكن حذار من أن تفعلي ذلك مرّة ثانية.

وقال تيم بهدوء: إنها لم تكن تقصد أن تفعل ذلك.

ولكن موللي هزّت رأسها دلالة على النفي، فصاح تيم قائلاً: أتعنين أنك فعلت هذا متعمّدة؟!

وهنا تكلّمت موللي لأول مرّة وقالت: أجل، لأنني كنت خائفة.

فقال تيم: ممَّ تخافين؟ من الشرطة؟ لأنهم كانوا يزعجونك ويُكثرون من أسئلتهم، هذا كفيل بأن يُخيف أي إنسان، ولكن تلك هي طريقتهم، هذا هو...

وتوقّف تيم عن إتمام عبارته بعد أن أشار إليه الدكتور غراهام بحزم ليكفّ عن الاسترسال في حين قالت موللي: أريد أن أنام.

فقالت إيفيلين: هل أبقى معك يا موللي؟

ففتحت موللي عينيها وقالت: تيم فقط.

ثم تنهّدت باسترخاء وأغلقت عينيها، فقال الدكتور غراهام: ستتحسّن مع وجود زوجها إلى جانبها، ولكن ربما احتاجت إليك عندما يخرج زوجها للإشراف على أعمال الفندق.

فسأله إدوارد قائلاً: هل تظن أنها ستكرّر المحاولة؟

- تكرار المحاولة غير محتمَل، وكما لاحظتم فإن عملية

الإنقاذ بالغة الصعوبة وأخشى أن يكون لديها من الأقراص زجاجة أخرى تُخفيها في مكان ما.

فتردّدت إيفيلين لحظة ثم قصّت على الطبيب تفصيلات الحديث الذي دار بينها وبين موللي على الشاطئ في تلك الليلة التي قُتلت فيها فيكتوريا، فاكتسى وجه الدكتور غراهام بالجدّية وقال: أنا مسرور لمعرفتي بما قلت، وهذا يدلّ على أنه توجد جذور دفينة لبعض المتاعب، وسوف أتحدّث في ذلك مع زوجها في الصباح.

* * *

وجّه غراهام حديثه إلى تيم قائلاً: لقد علمت أن أحلاماً مزعجة كانت تراود زوجتك، فهل هذا صحيح؟

- نعم، لقد كانت تشكو كثيراً من تلك الأحلام.

- منذ متى؟

- لا أذكر تماماً، قد يكون منذ شهر أو أكثر.

- الخطير في الأمر أنها تبدو خائفة من شخص ما، فهل اشتكت لك من ذلك؟

- مرّة أو مرتين، قالت إن أشخاصاً يقتفون أثرها.

- آه! أتقصد يتجسّسون عليها؟

- نعم، لقد استخدمت هذا التعبير مرّة.

- ألم تصادفها مشكلات في إنكلترا قبل زواجكما؟

- لم تكن على وفاق مع أسرتها، وخصوصاً أمها لأنها كانت غريبة الأطوار.

- هل أُصيب أحد من أفراد أسرتها باضطراب عقلي من قبل؟

أوشك تيم على أن يجيب ولكنه آثر الصمت، فقال الطبيب: الإجابة على هذا السؤال مهمّة.

فقال تيم: إحدى عمّاتها أو خالاتها كانت أقرب إلى الخبَل منها إلى التعقّل.

- هل واجهت أي مشكلة في زواجها؟

- لقد كان والداها يعارضان في زواجها وأثارت عائلتها مشكلة كبيرة بهذا الشأن.

- هل كانت تُصاب بفقدان الذاكرة لفترات قصيرة من الوقت؟

- لا، ولكنني لاحظت أنها تبدو في حالة ذهول أحياناً.

- أنصحك بأن تعرض زوجتك على أخصائي نفساني يا سيد كيندال.

- أتعني طبيب الأمراض العقلية؟!

- تمالك نفسك يا سيد كيندال. إن طبيب الأمراض النفسية هو المختصّ بعلاج ذلك، ويجب أن نفعل ذلك بأسرع ما يمكن. أنا أعرف أطباء متميّزين في هذا المضمار.

ثم نهض الدكتور غراهام واقفاً وهو يقول: لا تبالغ في القلق

يا سيد كيندال.

وما إن غادر غراهام الحجرة حتى قال تيم لنفسه: هل يظن أنني مخلوق من طينة غير طينة البشر؟!

* * *

الفصل الحادي والعشرون

جاكسون يُعجب بمستحضرات التجميل

ذهبت الآنسة ماربل إلى مقصورة موللي لتكون بجوارها بعد أن انضمّت إيفيلين إلى مجموعة خرجت في رحلة إلى بليكان بوينت، ثم خاطبت موللي قائلة: أنت تبدين أحسن كثيراً يا موللي، وأنا سعيدة بذلك.

- أنا بخير، كل ما هنالك أنني ما زالت أشعر بالميل إلى النوم.

- ما عليك إلا الاسترخاء والراحة، وسأشغل نفسي بهذا الصوف.

وعندما مدّت الآنسة ماربل يدها لتصلح ملاءة السرير لموللي وهي مستغرقة في نومها لامست يدها شيئاً صلباً مربّع الشكل فسحبته إلى الخارج، فإذا هو كتاب يبحث في الأمراض النفسية والعصبية، وكانت الصفحة التي وضع القارئ إشارة عندها تتحدّث عن عقدة الاضطهاد وبعض مظاهر حالة انفصام الشخصية وما يصاحبها من أمراض.

شعرت الآنسة ماربل بالحيرة فأعادت الكتاب إلى مكانه وأخذت تسير في الحجرة، ثم التفتت فجأة إلى الخلف ففوجئت بعينَي موللي المفتوحتين، ولكن ذلك لم يَدُم سوى لمحة خاطفة وأغلقت بعدها موللي عينيها مرّة ثانية، فسألت الآنسة ماربل نفسها قائلة: هل كانت تلك النظرة السريعة الخاطفة وهماً أم أن موللي تظاهرت بالنوم هرباً من التحدّث معي؟ ولكن ألا تحمل هذه النظرة شيئاً من المكر والخداع في طيّاتها؟

لم تجد تفسيراً لذلك، ولكنها قرّرت أن تتحدّث عن هذا الأمر مع الدكتور غراهام. وبعد لحظات تأكّدت من أن موللي قد استغرقت في النوم فأخذت تتجوّل بهدوء في أرجاء الحجرة، وقبل أن تعود إلى مقعدها خُيّل إليها أنها تسمع صوتاً خافتاً لاحتكاك حذاء بالأرض خارج الحجرة، فأسرعت إلى الباب الزجاجي ففتحته قليلاً وخرجت إلى الشرفة، ثم أدارت رأسها نحو الحجرة وهي تقول: لن أتغيّب سوى لحظة قصيرة يا عزيزتي، سأذهب إلى مقصورتي لإحضار بعض الخيوط وستكونين بخير إلى أن أعود.

لقد تظاهرت الآنسة ماربل بهذه العبارات حتى توهم القادم بأن موللي مستيقظة والحقيقة أنها نائمة، ثم اختفت الآنسة ماربل بين شجيرات الزهور التي تحفّ بالممرّ حتى وصلت إلى الباب الخلفي للمقصورة، ثم دخلت منه فوجدت نفسها في حجرة صغيرة نوافذها مغطاة بستائر، فاختبأت خلف إحدى نوافذها بحيث يمكنها أن ترى أي شخص يحاول الاقتراب من حجرة نوم موللي.

وبعد لحظات وصل جاكسون بحلّته البيضاء الناصعة،

ثم توقّف عند الباب الزجاجي لحجرة موللي لحظات وأخذ يطرقه طرقاً خفيفاً، فلما لم يتلقَّ رداً دخل إلى الحجرة ومنها إلى الحمّام، ولكن الآنسة ماربل فاجأته فاستدار نحوها مذعوراً وأخذ يقول بتلعثم: آه! لم أكن...

فقاطعته الآنسة ماربل وقالت وكأنها فوجئت هي الأخرى به: السيد جاكسون؟!

فقال: كنت أظن أنني سأجدك هنا.

فقال: هل تبحث عن شيء؟

فقال: في الواقع، لقد كنت أريد أن أعرف نوع مرطّب البشرة الذي تستخدمه السيدة كيندال لبشرة وجهها.

والواقع أن جاكسون عندما فاجأته الآنسة ماربل كان يمسك بإحدى العلب التي تحتوي على مرطّب لبشرة الوجه، وصمت بُرهة ثم استطرد قائلاً: إن العطر الذي مُزج بهذا المرطّب له رائحة جميلة والمادة نفسها جيدة!

- يبدو أن لك خبرة في هذا المجال.

- أجل، لقد عملت فترة من الوقت في إحدى المؤسّسات الكيميائية فأمكنني أن ألمّ بالكثير من مستحضرات التجميل. على أي حال أنا لم أحضر إلى هنا للتحدّث عن مستحضرات التجميل. في الواقع فإن السيدة والترز أعارت أحمر الشفاه إلى السيدة كيندال منذ يومين وقد جئت لاستعادته لها، وعندما طرقت باب الحجرة لاحظت أن السيدة كيندال نائمة فرأيت عدم الضّرر في دخول الحمّام للبحث عنه.

- وهل عثرت عليه؟

- لا، يُحتمَل أن يكون في حقيبة يدها.

- هل تعرف الكثير عن العقاقير؟

- إن لي إلماماً وثيقاً بها والأسواق مليئة بالمئات منها، فتوجد العقاقير المهدئة والمنشّطة، وبعضها قد يكون خطيراً على الحياة لأن لها تأثيراً قوياً على سلوك الإنسان، ويظهر ذلك جلياً في تلك التصرّفات الهستيرية التي يتّسم بها شباب الجيل الجديد، فهي تصرّفات غير طبيعية وسببها راجع إلى تعاطي بعض تلك العقاقير. فمثلاً في الهند فيما مضى كانت الزوجة الشابة التي تتزوج برجل طاعن في السن لا تفكّر في التخلّص منه لأنه إذا مات قضت العادات بأن تُحرَق معه، وإذا لم تُحرق فإنها تعيش بقيّة عمرها منبوذة من جميع أقربائها، لذا كانت تلجأ إلى إبقاء زوجها تحت تأثير العقاقير المخدّرة لأن ذلك كان كفيلاً بأن يجعله يبدو كالأبله ويصبح عُرضة للهذيان والتخيّلات مما يدفع به تدريجياً نحو الجنون.

- مَن أخبرك بكل هذه الروايات عن الهند، أعني تخدير الزوجات لأزواجهن باستخدام العقاقير؟

وقبل أن يجيبها سألته قائلة: هل هو الميجور بالغريف؟

- نعم، هو الذي قصّ عليّ هذه القصص وغيرها؛ فقد كان ملماً بتلك العادات والتقاليد إلماماً عميقاً.

وهنا تناهى إلى سمعهما صوت صادر من الحجرة المجاورة، فأسرعت خارجة إلى حجرة نوم موللي، فإذا لاكي

دايسون على وشك الدخول إلى الحمّام، وما إن أبصرت الآنسة ماربل حتى قالت: آه! لم أكن أظن أنك هنا.

- لقد غادرت الحجرة إلى الحمّام منذ برهة وجيزة.

- لقد خطر لي أنك قد ترغبين في أن أجلس مع موللي بعض الوقت.

وصمتت بُرهة ثم استطردت قائلة وهي تنظر نحو الفراش: إنها نائمة، أليس كذلك؟

- أظن ذلك. لا داعي لأن تجلسي معها، اذهبي وتمتّعي بوقتك. لقد ظننت أنك سترافقين الآخرين إلى بليكان بوينت.

- كنت أنوي ذلك فعلاً، ولكنني شعرت بصداع ففضّلت البقاء لأستريح، ثم خطر لي أن أقوم بمساعدتك.

وتردّدت قليلاً ثم انصرفت. وعندما عادت الآنسة ماربل إلى الحمّام وجدت جاكسون قد خرج من الباب الخلفي فأخذت علبة مرطّب البشرة التي كان يتفحّصها وأسقطتها في جيبها.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

هل في حياتها رجل آخَر؟

خرجت الآنسة ماربل من مقصورة موللي وأخذت تحوم على غير هدى حول الفندق وفي الممرّات التي تصل بين المقصورات، ومن بينها مقصورة الدكتور غراهام، وكانت قد وضعت خطة لما ستقوم به بعد ذلك.

إن الأعمال الإجرامية التي وقعت في الفندق قد بدت واضحة بسبب ما أظهره الميجور بالغريف من غرام شديد برواية القصص وعدم الحذر في أقواله التي لا بدّ وأنها وصلت إلى أسماع الشخص الذي كان يجب الحذر من وصولها إليه، ثم النتيجة المنطقية التي أدّت إلى مقتله قبل مُضيّ أربع وعشرين ساعة. وكانت الآنسة ماربل ترى أن كل شيء واضح إلى هذا الحدّ، ولكن ما حدث بعد ذلك قد اضطرها إلى تغيير رأيها؛ إذ وجدت نفسها تتجه اتجاهات متعدّدة في وقت واحد، فكان تفكيرها يتركّز على الضحية التالية. يوجد شخص ما في طريقه إلى أن يُقتَل ويجب عليها أن تعرف ذلك الشخص، ولكن كيف؟

إن شخصاً ما قد أخبرها بشيء له علاقة بالأحداث، فهل هي الآنسة بريسكوت؟ لقد تحدّثت الآنسة بريسكوت عن أشياء كثيرة تتعلّق بأشخاص عديدين. هل هو غريغوري دايسون أم زوجته لاكي؟ قد تكون لاكي، ولكنها ليست واثقة تماماً من أن لاكي لها صلة بوفاة زوجة غريغوري الأولى، ولكن كل الظواهر تشير إلى ذلك. فهل من المحتمَل أن يكون غريغوري هو الضحية المرتقَبة وأن لاكي تنوي أن تجرّب حظّها مرّة ثانية مع زوج جديد مستمتعة بالثروة الطائلة التي سيخلّفها لها غريغوري؟

ثم صحت من تأمّلاتها فَزِعة على صوت السيد رافيل قادماً من مقصورته مستنداً على ذراع إستر والترز إلى الشرفة، وقد صاح بها قائلاً: لِمَ كل هذا الاهتمام الذي يبدو عليك؟

فأجابته قائلة: لا يزال الأمر عاجلاً، وأنا عاجزة عن إدراك الحقيقة رغم بساطتها.

وهنا ظهر جاكسون فصاح فيه السيد رافيل قائلاً: ألا يمكن أن أجدك في الوقت الذي أحتاج فيه إليك أبداً؟!

- آسف يا سيدي، هل ترغب في الخروج إلى الشرفة؟

- خذني إلى المقهى. انصرفي أنت يا إستر كي تغيّري ملابسك، ثم الحقي بي بعد نصف ساعة.

قالت إستر للآنسة ماربل: لم أرَك بعد ظهر اليوم.

- أجل، لقد كنت جالسة بجوار موللي، ويبدو أنها تحسّنت تحسّناً كبيراً.

- إن حالتها لم تكن تشكّل أية خطورة، إن محاولتها

الانتحار لم...

فقاطعتها الآنسة ماربل قائلة: لا أظن أنها حاولت الانتحار، والدكتور غراهام يعي ذلك جيداً.

- أعتقد أن ما حدث كان وسيلة لجذب انتباه الآخرين، وهذه عادة تحدث عندما تكون المرأة مغرمة بزوجها ولكنها لا تلقى منه الاهتمام الكافي.

- ألا تظنين أن موللي مغرمة بزوجها؟

فأجابت إستر بتردّد قائلة: هل تظنينها أنت مغرمة به؟

- لقد افترضت ذلك إلى حدٍ ما، وربما كنت مخطئة.

فابتسمت إستر ابتسامة ذات مغزى ثم قالت: لقد سمعت بعض الروايات عنها وعن قصّتها بالكامل.

- هل الآنسة بريسكوت هي التي أخبرتك؟

وهنا انتقلت الآنسة ماربل بتفكيرها إلى البداية، إلى الميجور بالغريف. لقد كان يوجد شيء غامض يحاول أن يثبت وجوده في خاطرها... شيء يتعلّق بالميجور، فلو أنها استطاعت أن تزيل الغموض عن ذلك الخاطر فقط... أن تتذكّر!

* * *

الفصل الثالث والعشرون

اليوم الأخير

راحت الآنسة ماربل تتأمّل ما حولها؛ نسمة المساء المنعشة وعبير الزهور، والموائد المتناثرة في الشرفة وما عليها من أضواء حالمة، والنساء في ملابس السهرة، ومن بينهن إيفيلين في ثوبها الأزرق المطرّز بحواشي بيضاء ولاكي في ثوبها الأبيض الجميل وشعرها الذهبي الذي يلمع مع انعكاسات الأنوار الخافتة، وما بدا على الجميع من مرح وسعادة، حتى إن تيم نفسه كان يبتسم وهو يقترب من مائدتها ويقول لها: أنا عاجز عن شكرك لكل ما بذلتِه؛ إن موللي تكاد تكون في حالتها الطبيعية، ويقول الطبيب إنها تستطيع أن تغادر الفراش غداً.

نهضت الآنسة ماربل متجهة نحو مقصورتها بخطى بطيئة، ثم استلقت في فراشها. ولكنها استيقظت من نومها فجأة حين تناهى إلى سمعها صوت ضوضاء في الخارج، وكانت الساعة الثانية صباحاً، فغادرت المقصورة لتستطلع حقيقة الأصوات التي أيقظتها، فرأت عدداً من الأشباح تتحرّك في الظلام وقد حمل

كل منهم بطارية مضيئة، وشاهدت من بينهم كانون بريسكوت فسألته قائلة: ماذا يجري هنا؟

- لقد استيقظ تيم فلم يجد زوجته في فراشها، ونحن نبحث عنها.

قال ذلك وغادرها مسرعاً، فتبعته الآنسة ماربل على مهل وهي تتساءل في نفسها قائلة: أين ذهبت موللي؟! ولماذا خرجت في مثل هذه الساعة المتأخّرة من الليل؟ وهل فعلت ذلك عن تدبير سابق فانتظرت حتى استغرق زوجها في النوم ثم تسللت خارجة؟ هذا افتراض جائز، ولكن لماذا تفعل موللي ذلك؟ هل كانت إستر والترز مصيبة فيما أكّدته من أنه يوجد رجل آخَر في حياتها؟ ولكن مَن هو؟ أم يوجد سبب آخَر أكثر بشاعة؟

كانت تفكّر وهي تسير غادية رائحة وتتلفّت يميناً ويساراً تبحث بين الشجيرات. ولم يكن عدد الأشخاص الذين خرجوا للبحث عن موللي كبيراً، فمعظم النزلاء كانوا نياماً في حجراتهم. وكان الباحثون قد تجمّعوا عند حافة الخليج الصغير، وقبل أن تصل إلى الجمع سمعت صوت تيم يصيح قائلاً: موللي، موللي... يا إلهي!

ثم جثا فوق جسم راقد على الأرض وهو يكرّر صيحته قائلاً: موللي!

رأت الآنسة ماربل جسداً ملقى على حافة الخليج ووجهه مغمور تحت سطح الماء في حين تهدل الشعر الذهبي فوق الشال الأخضر المطرّز الذي كان يغطي الكتفين. وحاول تيم لمس الجثّة، ولكن الآنسة ماربل منعته، وشاركتها في رأيها

السيدة إيفيلين التي جزمت بأنها ميّتة بعد أن جسّت نبضها، فصدرت عن تيم صرخة مكتومة وهتف: لماذا؟! لقد كانت في منتهى السعادة هذا الصباح وكنا نناقش ما سوف نفعله في الغد. لماذا كل هذا اليأس من الحياة؟ لماذا لم تصارحني بما كان يضايقها؟!

فقالت إيفيلين مواسية: لا أحد يعرف يا عزيزي.

وقالت الآنسة ماربل: يحسُن أن يذهب أحدكم لاستدعاء الطبيب كما يجب إحضار الشرطة.

فنهض تيم واقفاً بتثاقل وقال: سأذهب لاستدعاء الدكتور غراهام، فربما استطاع أن يفعل شيئاً.

لكن إيفيلين قالت: لا فائدة، فقد ماتت تماماً. إن برودة جسدها تدلّ على أنها فارقت الحياة منذ ساعة على الأقل، وأعتقد أن قواها العقلية لم تكن في حالة اتزان.

فردّت الآنسة ماربل قائلة: لا، لا أعتقد أن قواها العقلية كان فيها أي اختلال.

فنظرت إليها إيفيلين باستغراب وقالت: ماذا تقصدين؟!

وقبل أن تجيب الآنسة ماربل انقشعت السحابة الخفيفة التي كانت تحجب ضوء القمر فبدا بدراً ينشر ضوءه على الأرض وانعكست أشعّته الفضية على الشعر الذهبي الذي كان يغطى كتفَي القتيلة، فأطلقت الآنسة ماربل صيحة تعجّب ومالت بجسمها تدقّق النظر إلى الجثّة المسجاة أمامها، ثم مدّت يدها ولمست الرأس الذهبي وقالت مخاطبة إيفيلين: يجب أن نتأكّد.

فحملقت إليها إيفيلين بذهول وقالت مستنكرة: ولكنك قلت لتيم إنه يجب عدم لمس الجثّة!

- لقد كان القمر محتجباً، ولم أكن قد رأيتها.

قالت ذلك ومدّت يدها فباعدت بين خصلات الشعر من عند منابتها، ثم ما لبثت أن صاحت قائلة: لاكي؟! هذه لاكي وليست موللي. إن شعرها لا يكاد يختلف في لونه عن لون شعر موللي، ولكن شعر لاكي يختلف في أن منابته سوداء لأنها تصبغه.

فقالت إيفيلين: ولكنها تضع على كتفيها الشال الأخضر الخاص بومللي!

- لا غرابة في ذلك، فقد أبدت إعجابها به وقرّرت أن تشتري شالاً مثله، ولا بدّ أنها فعلت ذلك.

وصمتت الآنسة ماربل بُرهة ثم استطردت قائلة: يجب إخطار زوجها.

- حسناً، سأفعل ذلك.

وانصرفت إيفيلين مخترقة أشجار النخيل في حين أدارت الآنسة ماربل رأسها قليلاً وقالت: حسنا يا كولونيل هيلنغدون، ماذا تريد؟

فبرز هيلنغدون من بين الأشجار خلف الآنسة ماربل وقال: أكنت تعرفين أنني هنا؟

- لقد رأيت ظلّك.

فقال وكأنه يخاطب نفسه: إذن هذه هي النهاية؟ لقد تحدّت حظّها أكثر ممّا يجب!

قالت الآنسة ماربل: أظنك مسروراً لموتها، أليس كذلك؟

- بلى، أنا لا أنكر ذلك.

- كثيراً ما يضع الموت حلولاً للمشكلات المستعصية.

فنظر هيلنغدون إلى الآنسة ماربل بثبات ثم قال: إذن كنت تظنين أنني...؟

قالت الآنسة ماربل بصوت هادئ: إن زوجتك ستعود مع السيد دايسون، كما أن السيد كيندال سيحضر هو الآخَر ومعه الدكتور غراهام.

فاستعاد هيلنغدون هدوءه وظلّ ينظر إلى المرأة المسجاة على حافة الخليج، أما الآنسة ماربل فتسلّلت عائدة إلى الفندق، وقبل أن تصل إلى مقصورتها توقّفت فجأة ونظرت حولها.

لقد تذكّرت أنها كانت تجلس هنا مع الميجور وهو يروي لها القصة، ثم يُخرج محفظته ليطلعها على صورة القاتل، ثم يرفع بصره عن الصورة فيحتقن وجهه فجأة حتى صار كالضفدعة المحنّطة، أو كما قالت السيدة دي كاسبيرو إنه كان يجلب النحس وكانت له عين شريرة...

وردّدت الآنسة ماربل قائلة في نفسها: العين، العين!

* * *

الفصل الرابع والعشرون

العدالة

كان السيد رافيل مستغرقاً في نومه فلم يشعر بما حدث إلا عندما أمسكت الآنسة ماربل بكتفيه وهزّته هزاً قوياً قائلة له: سيد رافيل، أريد منك مساعدتي!

- عن أي شيء تتكلّمين؟ وماذا تفعلين هنا؟!

- بينما أنت مستغرق في النوم عثر القوم على جثّة. في بداية الأمر ظننا أنها جثّة موللي ولكن اتّضح أنها جثّة لاكي، وقد لاقت حتفها غرقاً في الخليج.

وصمتت بُرهة كي تلتقط أنفاسها ثم استطردت قائلة: سيد رافيل، هل يمكن أن توليني ثقتك؟ يجب أن نتعاون لمنع وقوع جريمة قتل.

- لقد قلتِ إنها وقعت فعلاً.

- الجريمة التي وقعت لم تكن ضحيّتها هي المقصودة، ولكن الضحيّة الحقيقية تقف على حافة الموت الآن ويجب أن نتحرّك فوراً.

- وماذا تريدين منّي أن أفعله؟

- أنا لا أريدك أنت بل أريد جاكسون، وهو لن يتردّد في كل ما تأمره به، أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، لا سيما إذا وعدته بحسن الجزاء.

- إذن اطلب منه أن يأتي معي وأن ينفّذ كل ما أطلبه منه.

فصاح السيد رافيل منادياً جاكسون، وعندما جاء هذا الأخير قال له: عليك أن تنفّذ كل ما سأقوله لك. اذهب مع الآنسة ماربل إلى أي مكان تقودك إليه وافعل كل ما تطلبه منك بدقّة، وسأجزل لك العطاء.

قالت الآنسة ماربل وهي تتّجه إلى الخارج: هيا بنا يا سيد جاكسون.

ثم التفتت إلى السيد رافيل وقالت: سوف نمرّ على السيدة والترز ونطلب منها أن تأتي إليك، وليتك تستطيع اللحاق بنا بمساعدتها.

- وأين ألحق بكما؟

- في مقصورة كيندال، أظن أن موللي سوف تعود إليها.

* * *

عادت موللي عن طريق الممرّ الموصل إلى البحر، وكانت عيناها تحدّقان إلى الفضاء أمامها وهي تغمغم بعبارات غير واضحة من وقت لآخَر، ثم اتّجهت من الباب الزجاجي إلى حجرة نومها. وكانت أنوار حجرتها مضاءة ولكنها خالية،

فجلست على حافة فراشها وأخذت تضع يدها على جبهتها من حين لآخَر دون أن تُبدي حراكاً. ثم ألقت نظرة خاطفة حولها، وبعد ذلك أخرجت كتاباً كانت تخبئه في طيّات فراشها وأخذت تقلب صفحاته حتى عثرت على الصفحة المطوية، وما إن بدأت القراءة فيه حتى أحسّت بصوت أقدام تقترب من الحجرة فأخفت الكتاب بحركة سريعة خلف ظهرها.

وما كاد تيم كيندال يدخل الحجرة ويرى موللي حتى زفر زفرة ارتياح وقال: الحمد لله! أين كنت يا موللي؟ لقد بحثت عنك في كل مكان.

- لقد ذهبت إلى الخليج.

- إلى أين؟!

- إلى الخليج، ولكنني لم أستطِع البقاء هناك. لقد كان هناك شخص تحت الماء... كانت ميتة!

- لقد ظننتها أنت، ثم تبيّن لنا أنها لاكي.

- أنا لم أقتلها... صدقني يا تيم، أنا لم أقتلها.

جلس تيم على حافة الفراش وقال بصوت عال: أنت لم... هل أنت واثقة من ذلك؟ آه، بالطبع أنت لم تقتليها فقد أغرقت لاكي نفسها. إن هيلنغدون قد أهملها تماماً فما كان منها إلا أن وضعت رأسها تحت الماء.

- لاكي لا يمكن أن تفعل ذلك، ولكنني لم أقتلها.

- بالطبع يا عزيزتي، بالطبع.

قال ذلك وهو يربت على كتفها، ولكنها أبعدته عنها

ونهضت واقفة وهي تقول: أنا أكره هذا المكان. لقد حلّت فيه الكآبة محلّ البهجة، إن أشباحاً شريرة تخيّم عليه.

أخذ صوت موللي يعلو حتى كاد يبلغ حدّ الصراخ، فهبّ تيم واقفاً وذهب إلى الحمّام، ثم عاد وبيده كوب وقال: هيا، اشربي هذا، سيعيد إليك هدوءك.

وهنا صدر صوت الآنسة ماربل من خلف الباب الزجاجي، وقد بدا واضحاً حازماً وهي تقول: جاكسون، هيا. خذ هذا الكوب وحافظ عليه جيداً، وخذ حذرك لأنه قوي ومن المحتمل أن يتحوّل إلى ثور هائج.

وكان جاكسون يتميّز بطاعته للأوامر لأنه يحب المال، وقد وعده السيد رافيل بجائزة مالية، والسيد رافيل يحترم الوعود. وفضلاً عن ذلك كان ذا قوام رياضي مفتول العضلات خفيف الحركة رشيقها. وفي لمح البصر خطف الكوب الذي كان يلامس شفتَي موللي وأحاط عنق تيم بذراعه الأخرى، فلم يتمكّن تيم من التخلّص من قبضة جاكسون وصاح قائلاً: دعني، قلت لك دعني! هل جننت يا رجل؟ ماذا تفعل؟!

فصاحت الآنسة ماربل قائلة: لا تدعه يفلت منك يا جاكسون.

وهنا جاء صوت السيد رافيل وهو يدخل الحجرة من الباب الزجاجي مستنداً إلى ذراع إستر والترز وهو يقول: ماذا يجري هنا؟

فصاح تيم قائلاً: أتسأل ماذا يجري؟ رجلك قد أصابه الجنون، مُرْهُ بأن يتركني.

لكن الآنسة ماربل قاطعته: لا، لا تتركه يا جاكسون.

فالتفت السيد رافيل نحوها وقال: تكلّمي، يجب أن تُسمعينا القصّة.

فتكلّمت الآنسة ماربل قائلة: الآن لست غبية كما كنت من قبل. عندما يجري تحليل محتويات هذا الكوب التي كان يحاول أن يجرّعها لزوجته سيجدون فيه كميّة كبيرة من المواد المخدرة، وأنا أراهن على ذلك. هذا هو نفس الأسلوب الذي ذكره الميجور بالغريف في قصّته، وعندما أخرج الميجور صورة القاتل ليطلعني عليها شاهد...

حاول رافيل أن يكمل العبارة فقال: فوق كتفك الأيمن...

- لا، لم يُشاهد شيئاً فوق كتفي الأيمن.

- ماذا تقولين؟! لقد أخبرتِني...

فقاطعته قائلة: ما أخبرتك به كان خطأ. لقد كان يبدو وكأنه ينظر فوق كتفي الأيمن، ولكن عين الميجور اليسرى كانت زجاجية والعين التي يستطيع أن يرى بها هي عينه اليمنى، لذا فالشيء الذي كان ينظر إليه لم يكن وراء كتفي الأيمن بل وراء كتفي الأيسر. كان تيم وزوجته يجلسان إلى مائدة بالقرب من بعض أحواض الزهور وقد انهمكا في مراجعة حسابات الفندق، وعندما رفع الميجور بصره عن الصورة كانت عينه اليسرى، وهي العين الزجاجية، تبدو وكأنها تحملق خلف كتفي الأيمن، أما ما رآه فعلاً فقد كان بعينه الأخرى. لقد سمع تيم كيندال القصّة حينما كان الميجور يرويها لي، ثم شاهد الميجور وهو يُخرج

الصورة ولاحظ أنه تعرّف عليه، فاضطُر إلى قتله. ثم اضطُر إلى قتل فيكتوريا لأنها رأته وهو يضع زجاجة أقراص السيرينايت في حجرة الميجور، ولم يكن الشكّ قد ساور الفتاة في مبدأ الأمر لأنه من الطبيعي أن يدخل تيم مقصورات النزلاء من وقت لآخَر، ولكنها عندما فكرت في الأمر بعد مقتل الميجور أخذت تسأله بعض الأسئلة وبذلك حكمت على نفسها بالموت. أما المحاولة التي أفسدناها الآن فهي الجريمة الأصلية التي كان يخطّط لها منذ البداية... إن تيم كيندال هو قاتل الزوجات.

وهنا قاطعها تيم وقال صارخاً: ما هذه السخافات؟ ما...

وفجأة انطلقت صرخة هستيرية مشحونة بالغضب من إستر والترز، ثم تركت ذراع السيد رافيل بعنف كاد يؤدّي إلى سقوطه واندفعت عبر الحجرة وأخذت تجذب جاكسون وهي تصيح قائلة: دعه، دعه، هذا غير صحيح، ليس في كل ما قيل كلمة واحدة صحيحة. تيم، حبيبي، قُل إن هذا غير صحيح... لا يمكن أن تقتل أحداً، أنا أعرف أنك لا تستطيع. إنها تلك الفتاة الفظيعة التي تزوجتَها، هي التي كانت تنشر حولك الأكاذيب... كل هذا الذي قيل كذب... أنا أثق فيك وأحبك.

وهنا فقد تيم السيطرة على أعصابه وصاح بها بشراسة قائلاً: اخرسي أيتها البلهاء، أتريدين منهم أن يشنقوني؟

فقال السيد رافيل بصوت خافت: يا للمرأة الغبية المسكينة! إذن هذا ما كان يجري حولنا؟

* * *

الفصل الخامس والعشرون

الآنسة ماربل تستخدم خيالها

جلست الآنسة ماربل والسيد رافيل على انفراد وكأنهما في مؤتمر خاص، وقال السيد رافيل: إذن هذا ما كان يجري حولنا! إستر على علاقة غرامية بتيم، أليس كذلك؟

- من الصعب أن نسمّيها علاقة، إنها مجرّد ارتباط عاطفي على أساس وعد بالزواج مستقبلاً.

- ماذا تقولين؟ أكان ينوي الزواج بعد وفاة زوجته؟!

- لا أظن أن إستر تعرف أن موللي كانت ستموت. لقد صدّقت ما قاله لها تيم بأن موللي كانت تحب رجلاً آخَر وأن ذلك الرجل تبعها إلى هنا، لذا كانت تتوقّع أن يحصل تيم على الطلاق، ورغم أنها كانت تحبه كثيراً إلا أنها لم تتجاوز حدّ التحفّظ واللباقة.

- من السهل إدراك ذلك فهو رجل جذاب، ولكن ألا تعرفين سبب تعلّق تيم بإستر؟

فقالت الآنسة ماربل وهي تبتسم: ألا تعرف أنت؟

- أستطيع أن أخمّن، ولكن كيف تمكّنت أنت من معرفة ذلك؟ والأكثر من ذلك: كيف تمكّن تيم من معرفته؟!

- لقد كان جاكسون دائم العبث بأوراقك، وأستطيع أن أتصور أنه اطّلع على وصيتك.

- آه! فهمت. لقد كانت لديّ صورة من الوصية التي أوصيت فيها لإستر بخمسين ألف جنيه بعد وفاتي... ولكن كيف علمتِ أنت بشأن الوصية؟

- من الطريقة التي كنت تحاول أن تؤكّد بها العكس.

- أنا أشهد لك بالبراعة. لقد تركت لإستر مبلغ خمسين ألف جنيه ستكون مفاجأة سارة لها بعد وفاتي، ولا شكّ في أن تيم قرّر أن يتخلّص من زوجته الحالية بإعطائها السمّ ثم يتزوج تلك الثروة ومعها إستر والترز بعد أن عرف بهذه الحقيقة، ومن المحتمل أنه لن يجد مانعاً من التخلّص منها هي الأخرى في الوقت المناسب. ولكن كيف عرف تيم بأنها سترث ذلك المبلغ؟

- من جاكسون طبعاً. لقد كان الاثنان على مودّة وثيقة وكان تيم يُظهر كثيراً من المجاملة لجاكسون، ولم يكن يرمي بذلك إلى غرض سيء، ولكن فلت لسان جاكسون فأخبر تيم بذلك.

- إن الأشياء التي تخيلتِها تبدو معقولة.

- ولكنني كنت غبية! إن كل شيء يبدو الآن مطابقاً للواقع تماماً. لقد كان تيم كيندال رجلاً ماهراً جداً، وفي الوقت نفسه كان شريراً جداً، وقد ظهرت مهارته في ترويج الإشاعات

بصفة خاصة... إن أغلب الإشاعات التي سمعناها هنا كان هو مصدرها. لقد حدّثَنا عن معارضة أسرة موللي بزواجها به وعن معاناة بعض أفراد الأسرة من نوع من المشكلات العقلية. لم يكن تيم كيندال هو الاسم الذي كان يُعرَف به في ذلك الوقت، ولا بد أن أهل موللي قد سمعوا عنه ما لا يسرّ فرفضوا زواجها به. ومهما يكن من أمر فقد تزوّجها واستخدم مالها في شراء هذا الفندق ثم جاء ليستقرّ فيه، وأستطيع أن أتخيّل أنه لم يُبقِ على شيء مما كانت تملك، وفجأة يعثر على إستر ويرى فيها مشروعاً جديداً دسماً.

فقاطعها السيد رافيل قائلاً: لماذا لم يتخلّص منّي؟

وصمت بُرهة ثم استطرد قائلاً: ربما تأكّد من أنه لن يُضطر إلى الانتظار طويلاً وأن من الأفضل لي وله أن أموت ميتة طبيعية، فضلاً عن أن وفاة أحد أصحاب الملايين لا يمكن أن تمرّ بنفس البساطة التي تمرّ بها وفاة أي زوجة.

- أظن أنك على حق. لقد كان بارعاً للغاية في إطلاق الأكاذيب حتى صدّقتها موللي، بوضعه ذلك الكتاب الذي يبحث في الأمراض العقلية في متناول يدها ثم بإعطائها عقاقير تسبب لها أحلاماً وهذياناً... إن جاكسون ماهر في هذا الصدد، وقد تعرّف على بعض الأعراض التي كانت تبدو على موللي وأدرك أنها ممّا قد ينتج عن المخدرات، وهذا ما جعله يتسلّل إلى مقصورتها ويعبث بالآنية التي كانت في الحمّام. إن مرطّب الوجه الذي كان يتفحّصه قد أوحى إليه بفكرة تربطه بالقصص القديمة التي تتعلّق بالسحرة الذين كانوا يدلكون أجسادهم بالدهون المحتوية على البلادونا، وهذا العقار يسبّب نوبات

الغيبوبة أو فقدان الذاكرة التي كانت موللي تتعرّض لها، وربما كان الميجور هو الذي أوحى إليه بالفكرة عن طريق القصص التي كان يرويها عن استخدام النساء الهنديات لمركّب يتيح لهنّ السيطرة على أزواجهن.

فقال السيد رافيل: الميجور بالغريف؟ يا له من رجل!

- لقد حكم على نفسه بالموت، وحكم على فيكتوريا أيضاً، وكاد يقضي على موللي. ومهما يكن من أمر فلا شكّ في أنه قد تعرّف على القاتل فعلاً.

- وما الذي جعلك تتذكرين عينه الزجاجية فجأة؟

- بعض العبارات التي وردت عرَضاً في حديث لي مع السيدة دي كاسبيرو حيث قالت إن له عينين تنظران في اتجاهين مختلفين في نفس الوقت لأن بهما حوَلاً شديداً، وبالطبع كان ذلك صحيحاً، ثم قالت إن مثل هاتين العينين تجلبان النحس.

- ولكن كيف حدث أن أخطأ تيم كيندال شخصية ضحيّته؟

- مجرّد مصادفة؛ فبعد أن أقنع الجميع (بما فيهم موللي) بعدم اتزان قواها العقلية، وبعد أن أعطاها جرعة كبيرة من العقار الذي كان يستخدمه معها طلب منها مساعدته في معرفة مَن وراء هاتين الجريمتين قائلاً إنهما سينصبان له فخّاً، فأطاعته موللي وهي ما تزال تحت تأثير المخدر الذي أعطاه لها، وكانا قد تواعدا على أن يخرج كل منهما في اتجاه معيّن على أن يتقابلا في نقطة محدّدة عند حافة الخليج الصغير بعد أن ينام الجميع، وقد وصلت موللي متأخّرة لضعف حالتها الصحية، وطبيعي أن

يأتي تيم قبلها فظن أن لاكي هي موللي بشعرها الذهبي وشالها الأخضر، فتسلّل من خلفها ووضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ ثم غمر رأسها تحت الماء وتركها هناك.

- ألم يكن من الأسهل أن يعطيها جرعة أكبر من المخدر وينتهي الأمر؟

- بلى، بالطبع كان ذلك أسهل، ولكنه كان كفيلاً بأن يثير الشكّ.

- أتعتقدين أن تيم لم يكن يعرف أنه أخطأ الضحيّة؟

- إنه لم يفكّر حتى في النظر إليها، بل عاد مسرعاً وانتظر نحو ساعة ثم تظاهر باكتشاف غيابها، ثم نظّم مجموعة من النزلاء وخدم الفندق للبحث عنها وهو يمثّل دور الزوج المفجوع.

- وماذا كانت تفعل لاكي في ذلك المكان في تلك الساعة المتأخّرة؟

تظاهرت الآنسة ماربل مرّة ثانية بالسعال ثم قالت: من المحتمل أنها كانت تنتظر شخصاً ما.

- أهو إدوارد هيلنغدون؟

- آه! لا؛ لقد انتهى ما كان بينهما. ربما كانت في انتظار جاكسون.

- جاكسون؟!

- لقد راقبتها مرّة أو مرّتين وهي تنظر إليه.

فأطلق السيد رافيل صفيرًا خافتاً وقال: يا لجاكسون الماكر!

أنا لا أستبعد ذلك منه على الإطلاق. لا بدّ أن تيم قد صُدم عندما علم بأن القتيلة ليست موللي؟

- طبعاً، لقد وجد نفسه كالفأر الحبيس في المصيدة، فمسرحيته التي أجهد نفسه في حبك تفصيلاتها بشأن حالتها العقلية لن تجديه نفعاً، ولا سيما وقد أجمع الجميع على ضرورة عرضها على طبيب نفساني. وإذا ما روت خبر اتفاقه معها على المقابلة عند الخليج لانكشف كل ما كان يحاول أن يكتمه، والأمل الوحيد الذي بقي أمامه لإنقاذ حياته هو القضاء على موللي بأسرع ما يمكن. ومن ناحية أخرى فإن وفاتها ستُبرز احتمال أنها أقدمت على إغراق لاكي وهي تحت تأثير إحدى النوبات العصبية التي تعتريها ثم أقدمت على الانتحار عندما أدركت فعلتها.

* * *

الخاتمة

وقفت الآنسة ماربل على أرض المطار في انتظار الطائرة التي ستستقلّها إلى بلدها، والتفّ حولها جمع غفير جاؤوا لوداعها. وكان إدوارد هيلنغدون وزوجته إيفيلين قد غادرا الجزيرة قبل ذلك، أما غريغوري دايسون فقد انتقل إلى إحدى الجزر الأخرى، وسرعان ما وصلت الإشاعة بأنه قد بدأ ينصب شباكه حول أرملة أرجنتينية. أما السيدة دي كاسبيرو فقد عادت إلى أمريكا الجنوبية.

وكانت موللي بين المودّعين بوجهها الممتقع وجسمها الهزيل، ولكنها كانت قد استعادت ثقتها بنفسها وقرّرت الاستمرار في إدارة الفندق بمساعدة أحد وكلاء السيد رافيل الذي استدعاه ببرقية من إنكلترا، وقد وجّه إليها السيد رافيل حديثه قائلاً: إن انهماكك في العمل سيفيدك كثيراً وسيحول بينك وبين التفكير... إن هذا الفندق مشروع ناجح.

- ألا تظن أن جرائم القتل التي...

- الناس يحبون الاستماع إلى قصص بعض الجرائم ولا سيما بعد كشف الستار عنها، فلا يشغلك هذا الخاطر وتشجعي يا فتاتي. وفوق كل شيء لا تفقدي الثقة بكل الرجال لمجرّد أنك

قابلت رجلاً شريراً.

فأجابته موللي قائلة: أنت تتكلم مثل الآنسة ماربل تماماً. لقد ظلّت تؤكّد لي أن الرجل المناسب سيأتي يوماً ما.

وكان مع موللي في المطار الشقيقان بريسكوت وإستر والترز التي بدت أكبر سناً وأشدّ اكتئاباً، وكان السيد رافيل يوليها عطفاً ظاهراً، وكان جاكسون أيضاً من بين المودّعين متظاهراً بالإشراف على حقائب الآنسة ماربل وهو بادي الانشراح، وكيف لا وقد هبطت عليه منحة مالية لم يكن يتوقّعها؟

وأخيراً علا أزيز الطائرة على أصوات الحاضرين، وعندما فُتح بابها تقدّمت موللي من الآنسة ماربل فعانقتها، في حين صافحتها الآنسة بريسكوت بحرارة وهي تؤكّد عليها ضرورة زيارتهما في إنكلترا، وقال السيد بريسكوت: لقد كان سرورنا عظيماً لأننا تعرّفنا بك يا آنسة ماربل.

وقال جاكسون ملاطفاً: أتمنّى لك كل السعادة يا سيدتي، وإذا احتجت إلى مساعدتي مرّة أخرى فابعثي إليّ ببرقية.

أما إستر والترز فظلّت في المؤخّرة وقد أدارت وجهها متجنّبة لحظة الوداع، وأخيراً مدّت الآنسة ماربل يدها مصافِحة السيد رافيل وهي تقول: لقد سعدت كثيراً بمعرفتك.

ثم أخذت طريقها نحو الطائرة وهي تلوّح للجميع.

* * *

(تمت)